

شيخ راشد بن سيف بن سعيّد المكي

(١٢٦٢ - ١٣٣٣ هـ)

(من شيوخ الإمام نور الدين السالمي)

دراسة وتحقيق /

أحمد بن محمد بن عبد الله الرمحي

ملحق به :

(دراسة الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف المكي للدكتور وليد خالص)



نادي الرستاق الرياضي الثقافي
اللجنة الثقافية



(من شيوخ الإمام نور الدين السامعي)
(١٢٦٢-١٣٣٣ هـ)

دراسة وتحقيق /
أحمد بن محمد بن عبد الله الرمحي

ملحق به :
دراسة الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف المكي
للدكتور وليد خالص

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



دراسة وتحقيق

الحمد لله الذي جعل في كتابه العزيز
الترجي

تخصیص و استخراج
موسی بنی بعلک الکلبانی



تلقى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم
الرسالة من الله تعالى
في مكة المكرمة



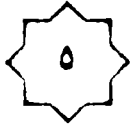
مکتبہ وقفہ اسلامیہ اہل اسلام
عامہ مکتبہ اہل اسلام
 دارالافتاء، عربیہ، لاہور۔ پاکستان
 ڈائریکٹرز: **www.alhilal222@yahoo.com**

المحتويات

رقم الصفحة	المحتوى	رقم
٤	* فهرس القصائد	١
٦	* المقدمة	٢
١٧	أولاً: الدراسة:	٣
١٨	أ- حياة الشيخ راشد بن سيف اللمكي	٤
٤١	ب- الحياة السياسية والأدبية في عصره:	٥
٤١	١- الحياة السياسية	٦
٤٨	٢- الحياة الأدبية	٧
٥٣	ج: إطلالة على الخصائص الفنية في شعره:	٨
٥٥	١- تأثره وتأثيره	٩
٧١	٢- البناء الخارجي لقصيدته	١٠
٧٤	٣- الصدق الفني	١١
٧٧	٤- النزعة الذاتية	١٢
٨٣	٥- طول النفس الشعري	١٣
٨٩	٦- الأسلوب واللفظ	١٤
٩٤	٧- الصورة الشعرية	١٥
٩٨	٨- الإيقاع	١٦
١٠٥	٩- التنوع في شعره	١٧
١١٣	ثانياً: ديوان الشيخ راشد	١٨
١٨١	* المصادر	١٩
١٨٨	* ملحق: (الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف اللمكي) للدكتور/ وليد خالص	٢٠

فهرس القصائد

م	القصيدة	القصيدة	القصيدة	القصيدة	القصيدة	القصيدة
١	طَلَابِي لِتِلِّ الْمَجْدِ أَسْمَى الْمَطَالِبِ	المذاهِبِ	الطويل	٥٤	حكمة	١١٤
٢	مِنْ اللَّهِ أَرْجُو دَفْعَ مَا بِي مِنْ الْكَرْبِ	الصَّغْبِ	الطويل	١٦	دعاء وتضرع	١٢١
٣	أَسِيرُ الْحُبِّ يَنْحُو	رُوحُ	مجزوء الوافر	٣٤	سلوك	١٢٣
٤	يَا نَاطِرِي سِرِّ الْقَدَرِ	مُعْتَبَرِ	مجزوء الكامل	١٠٠	فكر عقدي	١٢٩
٥	عَلَا شَرَفًا هَذَا الْمَقَامُ وَذَكَرًا	قُرَرَا	الطويل	١١	وصف	١٤٢
٦	أَيَا فَلَجَ الْمَخِيُولِ صَبَيْتَ لِي صَدْرِي	الهُجْرِ	الطويل	١٤	وصف	١٤٥
٧	أَيَا فَلَجَ الْمَغْمُورِ هُنَيْتَ بِالْبُشْرِ	ضُرَّ	الطويل	٢٢	وصف	١٤٨
٨	إِلْهِمِي إِلَيْكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَا	سَامِعُ	الطويل	١٧	ابتهال (سلوك)	١٥١
٩	لَكَ الْقَوْرُ لَكِنْ يَخْلُقِي كَمَلُ	الْعَمَلِ	المتقارب	١١	نصح وإرشاد	١٥٣
١٠	قُلْتُ وَقَوْلِي قَدْ عَرَى مِنْ الزَّلَلِ	الهُرَلِ	الرجز	٢٧	نصح وإرشاد	١٥٤
١١	أَتَدِينَمُ الْحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَسْلُو	تَغْلُو	الرمل	٢٤	سلوك	١٥٩



مَشَارِقُ مَسِيرَاتِ سَيِّدِ الْحَيْكَةِ

١٢	أَلَا يَبِيدُ التَّوْفِيقُ نَيْلَ الْفَضَائِلِ	القَوَائِلِ	الطويل	٢٤	حكمة	١٦٤
١٣	فَمَنْ يَوْمُهُ أَمْضَى وَلَمْ يَكُ قَدْ قَضَى	التَّزَمَ	الطويل	٣	نصح وإرشاد	١٦٩
١٤	وَرَجُلٌ قَالَ لِبَعْضِ الْحُكَمَا	تَنَدَمَا	الرجز	١١	حكمة	١٧٠
١٥	صَمَدْتُ لِيَذِي (النُّعْمَى) لِيَكْشِفَ مَا بَيْنَهُ	رَزَانِيَّة	الطويل	٤٦	شكوى	١٧١
١٦	أَرْوَمُ جَوَاباً مِنْ فَتَى صَارِمِ الْحَدِّ	الرُّشْدِ	الرجز	٢٥	فقه	١٧٧

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهاب، رفع مقام الشعراء المستثنين في الكتاب، وجعله قرآنا يتلى إلى يوم الحساب، تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وأصلي وأسلم على الهادي إلى الحق منهج الصواب، القائل (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله والأصحاب، ومن تبعه واقتفى أثره ما جادت المزن تحيي الأرض اليباب، وبعد..

فإن أدبنا العماني على مرّ عضوره لا زال أكثره ينتظر من ينفض عنه غبار السنين من مخطوطاته المتراكمة، وقصاصاته المتناثرة؛ ليسلك الطريق إلى التحقيق والتدقيق، مواصلا سيره إلى التحليل والدراسة، بامتدادها الأفقي على مستوى المخطوط، ثم الرأسي على مستوى علاقاته الزمانية والتأثيرية والتأثرية بالمخطوطات الأخرى.

وما بين أيدينا ديوان الشيخ القاضي الأديب راشد بن سيف بن سعيد اللمكي -رحمه الله- جاءت العناية به ضمن أعمال الندوة العلمية عن الشيخ وآثاره العلمية، التي نظمتها اللجنة الثقافية بنادي الرستاق الرياضي الثقافي.

وفي مرحلة جمع الآثار الشعرية للشيخ راشد استلمتُ بيد الشكر من الأخ الكريم نبهان بن سيف بن سالم بن سيف بن سعيد المكي مخطوطاً مصوراً في شكل كراس يحوي بين دفتيه مقطوعة شعرية وثمانية قصائد ، كلها منسوبة للشيخ راشد المكي ، أما المقطوعة الشعرية فمطلعها قوله : (فمن يومه أمضى) وأما القصائد الثمانية فمطلعها كالآتي : (علا شرفاً هذا المكان وذكر) - (أيا فلج المحيول ضيقت لي صدري) - (أيا فلج المحيول هنت بالبشر) - (لك الفوز لكن بخلق كمل) - (أنديم الحب يا من ليس يسلو) - (قلت وقولي قد عرى من الزلل) - (ورجل قال لبعض الحكماء) ، أما القصيدة الثامنة فمطلعها :

ألا حياً الغمامُ ربوعَ قصرى فضاحك روضها صباحاً وعصراً

لكن أثناء العمل في هذا المجموع الشعري تبين لي أنها للشيخ القاضي عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي فقد أوردها الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في (شقائق النعمان ، ج ١ ، ص ٣٩٠) منسوبة إلى الشيخ الهاشمي في اثني عشر بيتاً ، أما الواردة في المجموع الشعري للشيخ راشد المكي فهي الأبيات الستة الأولى فقط من قصيدة الشيخ الهاشمي ؛ ولذا استبعدت نسبتها للشيخ راشد؛ لأنها بعض من القصيدة الكاملة المنسوبة للشيخ الهاشمي في الشقائق ، كما أن المخطوط ليس بخط الشيخ راشد، ويظهر أنه لم يكتب في عصره وإنما دُون فيما بعد ، فترجّح أن

الشيخ اللمكي رواها عن الشيخ الهاشمي ، ومع تقادم الزمن نسبها النساخ إلى الشيخ اللمكي ظناً منهم أنها له.

أما قصيدة (سر القدر) التي تبدأ بقوله (يا ناظري سر القدر) فقد استلمت نسخة من الأوراق المدونة فيها أيضاً من الأخ الكريم نبهان اللمكي ، والقصيدة منسوبة إلى الشيخ راشد ، وهي بخط أخيه الشيخ سالم بن سيف بن سعيد اللمكي ، يقول في الصفحة الأخيرة بعد تمام القصيدة : (تمت هنا وهي مائة بيت والحمد لله على التمام ، نظمها الثقة الورع العارف وحيد عصره ، وفريد دهره الأخ راشد بن سيف اللمكي ، والحمد لله رب العالمين) ، وقد أفادني مشكوراً الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي بأنه وجد النسخة الأصل من هذه القصيدة مع جملة أوراق ماثورة في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، وغير مصنّفة ، وقد ترددت على مكتبة السيد محمد لغرض الحصول عليها ، لكنني لم أهتد إليها .

أما قصيدة (إلهي لك الحمد) فقد وجدتها مضافة في آخر المخطوط (مسالك المناسك) للشيخ راشد اللمكي نفسه ، وهذا المخطوط مصنّف في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي تحت رقم (٦٠٩) ، وهو بقلم الناسخ حمد بن عبدالله بن حسن بن علي البلوشي ، وقد نسبت القصيدة المذكورة للشيخ راشد .

أما قصيدة (ألا بيد التوفيق) فقد ألحقت بآخر مخطوط (كتاب الشيخ أحمد بن النضر الدعائم واللامية المنسوبة إليه)، وقد وجدته بمكتبة المرحوم جدي عبدالله ابن زهران بن زاهر الرمحي بولاية الرستاق بلدة عيني، ويضم هذا المخطوط في جزئه الأول ديوان الدعائم للعلامة أبي بكر أحمد بن النضر ولايته في الولاية والبراءة، أما الجزء الثاني منه فيحوي نظماً فقهياً للشيخ عبدالله بن مبارك الربخي والشيخ خميس بن رويشد والشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، والمخطوط بخط الناسخ عبيد بن مسعود بن سعيد بن عمر بن عبدالله الهميمي البهلوي عام ١٢٩١ هـ، أما قصيدة الشيخ راشد (ألا بيد التوفيق) فقد خطها في آخر هذا المخطوط الناسخ حماد بن خلفان بن حماد الشرياني عام ١٣٣٥ هـ وقت محاصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي بلد الرستاق.

أما القصائد الأخرى فقد أوردها الشيخ الخصيبي في شقائقه (جـ ٣)، الصفحات (١٣٦-١٤٥)، وجمعتها خمس قصائد، ومعها منظومة فقهية صاغها الشيخ راشد جواباً لسؤال منظوم، وضممت جميع ذلك إلى القصائد الأخرى السابقة الذكر، ولم يتيسر لي معرفة المصادر التي اعتمد عليها الشيخ الخصيبي في روايته لقصائد الشيخ راشد في كتابه الشقائق.

هذا وفي مرات ترددي على مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي كنت أبحث عن أي جديد يتعلق بالشيخ راشد في مظانه من المخطوطات التي تيسر لي

الاطلاع عليها ، إضافة إلى ما تيسر الاطلاع عليه في دار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة، ولقاء مع أقارب الشيخ ، محاولا بذلك تتبع آثار الشيخ ، فلم أجد ما أضيفه إلى شعره أكثر مما جمعته ، فاطمأنت النفس واستقرّ الأمر على ما هو عليه الآن ، إلا أن انطواء قابل الأيام ومرّ قادم السنين كفيل بكشف النقاب عن آثار أخرى للشيخ راشد تضاف إلى ما تيسر جمعه في هذا السّفر.

وقد قدمت بين يدي الديوان دراسة متواضعة بدأتها بالحديث عن حياة الشيخ مما أمكن تتبعه من المصادر، مركّزا على الحياة العلمية التي عاشها الشيخ، ثم تناولت الحديث عن الحياة السياسية والأدبية في عهد الشيخ راشد وقبيل ذلك؛ لتتكشف لنا بيئة الشاعر ومجريات الحياة فيها.

أما عن (الإطلالة على الخصائص الفنية لشعره) فلم يكن بخُلدي بداية الأمر أن تخرج بتلك الصورة ، وإنما كنت نويت أن أسلط الضوء على شعر الشيخ في صفحات لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة ، إلا أنني وجدت الحديث ذا شجون ، وهذا شأن كل من تناول قصيدة بالدراسة ، فكيف من بين يديه مجموع شعري؟! إذ يجد فيه ألف حكاية وحكاية ؛ فمرة تغريه ظاهرة أسلوبية ، ومرة تبرق له لمسة بيانية ، ومرة تأسره نبرة إيقاعية وهكذا دواليك ، وما ذاك إلا من سحر البيان ، ونَفْث المقال ، لكن أرجو ألا يكون ما كتبه في تلك الإطلالة تطفلا على مائدة المهتمين بالأدب ونقده، فهو لا يعدو أن يكون نظرة طائر،

وإشارةً من بعيد ، وعسى الله أن يقيّض لهذا الأمر نقادا حاذقين ، يدرسونه بمنهجية أقوم وقراءة أعمق .

أما عن العمل الذي قمت به في أشعار الشيخ راشد فهو يتمثل في تصويب الأخطاء الإملائية التي يقع فيها النساخ أو الطباعة في قصائد (شقائق النعمان) ، مع ضبط الكلمات ، وإتمام البياض بما يتسق والمعنى المراد ، وتوضيح معاني الكلمات في الهامش ، أو أي تعليق يقتضيه المقام ، أما بالنسبة لشعر السلوك فمع توضيح المعنى اللغوي أوضحت كذلك المعنى الاصطلاحي ؛ كي لا يلتبس معنى البيت على القارئ ، ومن المصادر التي تيسر الاعتماد عليها في توضيح معاني الاصطلاحات الصوفية لشعر السلوك : كتاب علي بن محمد الجرجاني الموسوم بـ (التعريفات) الملحق بآخره (اصطلاحات الشيخ محيي الدين العربي) ، و (كشف اصطلاحات العلوم والفنون) لمحمد علي التهانوي ، و (موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلامي) للدكتور رفيق العجم ، و (الكلّيات) لأبي البقاء الكفوي .

وعلى رأس كل قصيدة قمت بتحديد بحرهما العروضي ، ورقمها التسلسلي ، ولاختلاف مصادر القصائد كان الاعتماد في تسلسلها على الترتيب الألفبائي لرويّها، كما هو معهود في كثير من الدواوين، ولم أشأ ترتيبها حسب موضوعاتها

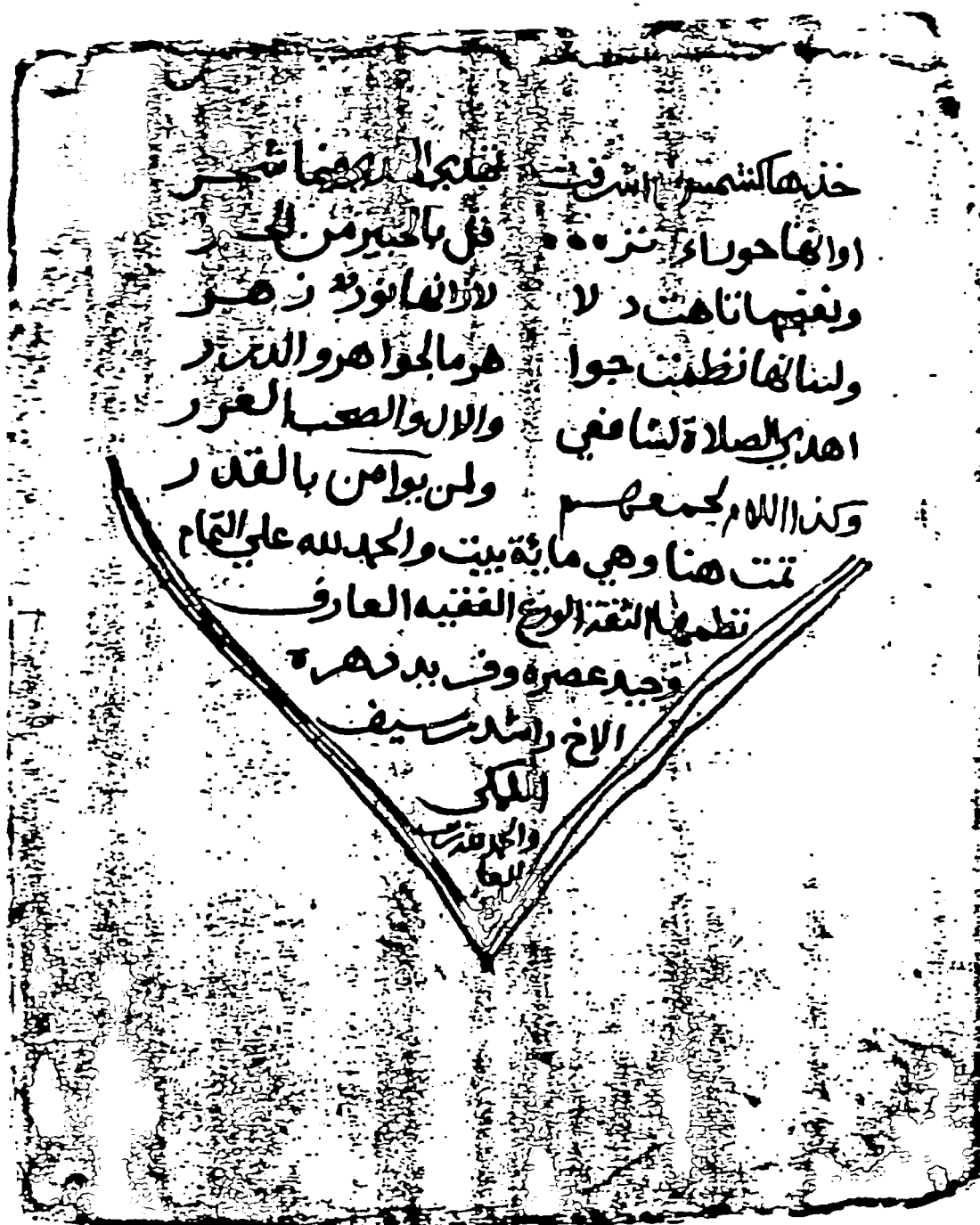
لعدم احتماؤها ذلك ؛ لقلة القصائد وتداخل موضوعاتها، سوى أن المنظومة
الفقهية قد أفردتها في الآخر لخصوصية نظمها العلمي.

وأخيرا .. فإني أزجي من الشكر أعطره، ومن العرفان أزكاه للشيخ الأديب مهنا
بن خلفان بن عثمان الخروصي، وللجنة الثقافية بنادي الرستاق الرياضي الثقافي
وأخص بالشكر الأستاذ ناصر بن راشد بن حميد العبري رئيس اللجنة، كما أوجه
شكري وتقديري للأخ الكريم نبهان بن سيف بن سالم اللمكي، والأستاذ
الفاضل سيف بن سليمان بن عبدالله المعمرى، ولتلك الأنامل المباركة التي عنيت
بطباعة هذا العمل، وإلى مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ودار
المخطوطات بوزارة التراث والثقافة، وكل من كان له فضل، والله أسأل أن يجعل
هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ويغفر لصاحبه زلته، ويقلل عثرته، إنه سميع
قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد بن محمد بن عبدالله الرمحي

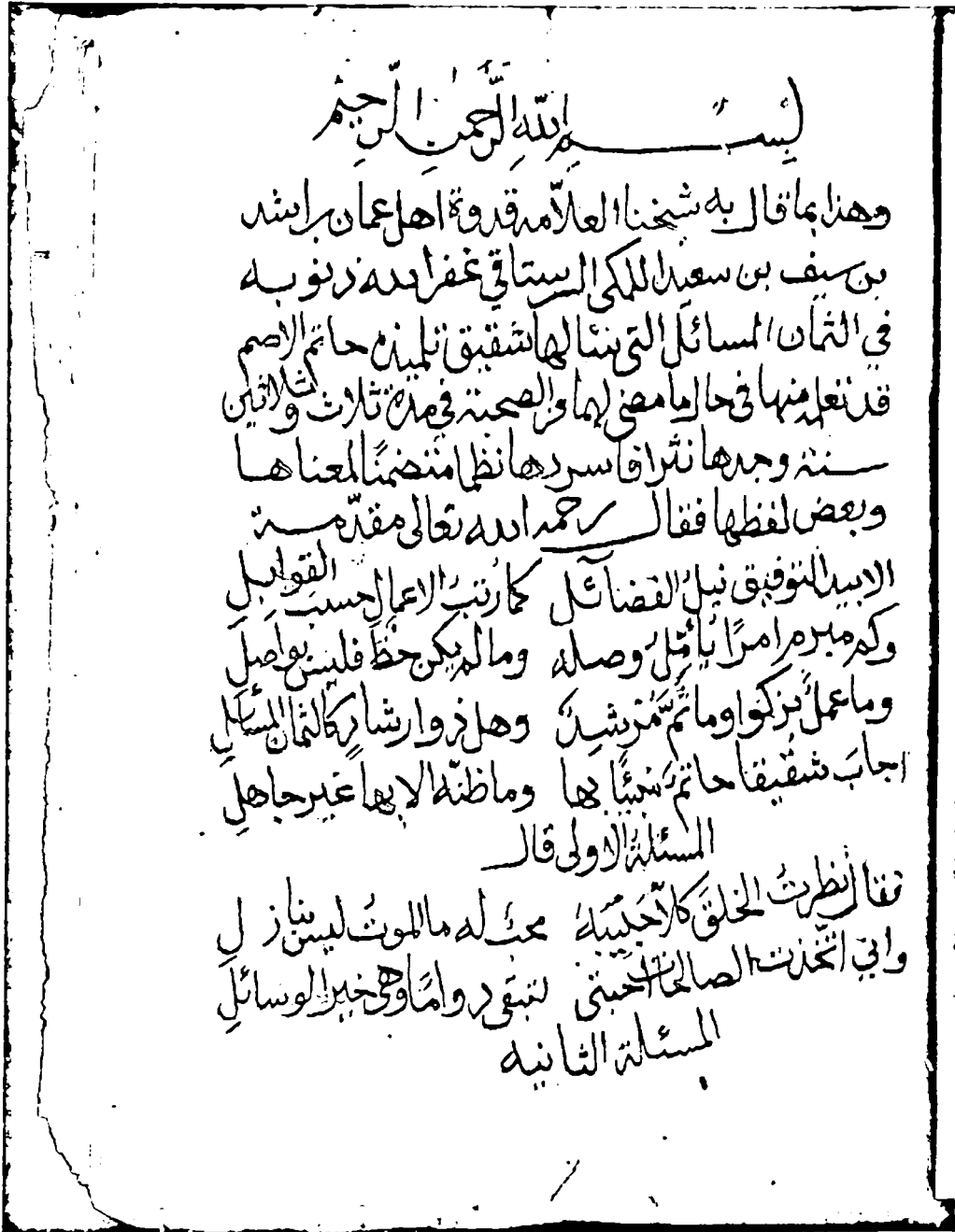
ربيع الأول ١٤٣٠ هـ - مارس ٢٠٠٩ م

صورة رقم (٣)



صورة من الصفحة الأخيرة من قصيدة (سر القدر)

صورة رقم (٤)



صورة من الصفحة الأولى لقصيدة (ألا بيد التوفيق) من مخطوط (الدعائم

ومنظومات أخرى)

أ- حياة الشيخ راشد بن سيف اللمكي

- نشأته وصفاته ودوره في المجتمع :

هو الشيخ راشد بن سيف بن سعيد بن راشد بن عبدالله اللمكي (١)، ولد بمحلة قصرى بولاية الرستاق عام ١٢٦٢ هـ، ونشأ فيها وتعلّم، وجدّ في طلب العلم واجتهد. (٢)

أما عن أسرته فوالدته غيثة بنت عبدالله اللمكية، وزوجه شيخة بنت مهنا المنورية، وأخوه سالم، ولم يخلف الشيخ سوى بنتين عزة وثرىا. (٣)

وقد نشأ الشيخ في كنف والده الشيخ سيف بن سعيد اللمكي، وتعلم القراءة والكتابة، وكان جيد الإملاء يفوق أقرانه، وذات يوم توارى عن مجلس والده، فذهب إلى مدرسة الشيخ العلامة الفاضل ماجد بن خميس العبري بمقصورة طوي المخرج (اسم مكان)، إحدى ضواحي بيت المال، تقع جنوب القلعة بالقرب من محلة بيت القرن، ورافقه إلى المدرسة بعض من أولاد الشيخ سيف بن خميس البوسعيدى، فلما وصل عند الشيخ أخذ يتفرس فيه، وعادة الشيخ التفرس في الأولاد، فاخبره في القراءة والكتابة، فوجده جيداً، فشرع أن سلّم إليه كتاباً من كتب النحو، وعادته الابتداء بالعربية، واتخذ قارئاً له، وملازماً عنده، بعد ما طلبه من والده، وطلب الرضا منه، وكان من حبه له أن زوجه بكريمته، أصدقها عنه السيد فيصل بن حمود بن عزان. (٤)

أما صفاته فقد عُرف بالفضل والزهد والورع، وكانت حياته طيبة نيرة بالعلم والدين، زاهرة بمكارم الأخلاق، يشهد على ذلك سيرته مما أثر عنه من حرصه على العلم مما سيرد ذكره في هذه الترجمة، وكذلك اهتمامه بخدمة الناس في شؤون دينهم ودنياهم ككتابة الوصايا والصلح بينهم، والقضاء في خصوماتهم فقد كان الشيخ مدار الفتوى ورئيس القضاة في الرستاق ونواحيها، كما كان له دور المصلح الاجتماعي؛ فكان يجرّض الأغنياء على المسابقة إلى فعل الخيرات؛ فتبرّع كثير منهم بحبس الأموال على المتعلمين، وفي أبواب الخير. (٥)

ورغم القلاقل والاضطرابات السياسية التي حصلت في زمنه إلا أن الشيخ كان بعيدا عن ذلك، منعزلا عن الفتن مشغلا بما يخدم به دين الله تعالى، وهذا ما نستشفه من أشعاره مما سيتضح لك لاحقا، كما كان الشيخ راشد من النصحاء لدولة الإمام سالم بن راشد الخروصي رحمه الله. (٦)

ومع أن الشيخ راشد وُصف بزهده إلا أنّه عُرف عنه عنايته بلباسه وهندامه؛ فكان يملك جملة من البُشُوت (الأردية) الحسنة المنظر يزيّن بها لباسه، وكان حريصا على التعطر دائما بأحسن العطور، وهذا يعكس لنا أن للزهد مفهوما خاصا عند الشيخ، والقصة التالية تكشف لنا ذلك؛ فقد روى لنا فضيلة الشيخ الجليل سعيد بن خلف الخروصي - حفظه الله - نقلا عن سمعه أن أحد المقربين المحبين للشيخ راشد قال له: "يا شيخ إني أعتب عليك في نفسي أمورا بعضها ظاهر،

وبعضها مخفيّ "، فقال الشيخ راشد : " وما هذه الأمور التي تعتبرها عليّ ؟ " ، فقال : " أعتب عليك أموراً ظاهرة؛ فأنت تسكن في هذا البيت الكبير، وتزين في لباسك بهذه البُشُوت المطرّزة، وعنايتك بهذه العطور العبقة الفوّاحة، والأولى بك أن تسكن في عريش وتزهد عن كل ذلك " ، فقال الشيخ : " هذه الأمور الظاهرة وماذا تعتب عليّ من الأمور المخفية ؟ " ، فقال له : " أعتب عليك هذه الحلوى التي في بيتك، والأولى بك أن تزهد عن ذلك " ، فردّ عليه الشيخ قائلاً : " أما قولك أني أسكن في هذا البيت الكبير فأنت تعلم أني أحمّل أمانات الناس وأحفظها في بيتي، ومنّ تحمّل أمانات الناس وحفظها لزمه تحصينها، أرايت لو أنّي حفظتها في عريش أسكنه كما تسكن أنت فيه أكنت آمنها من السرقة ؟ ، فردّ المعاتب : " لا يا شيخ ، بل لا تأمن حتى على نفسك " ، ثم قال الشيخ : " أمّا عنايتي باللباس والعطر والحلوى فإن ذلك مما يعين النفس على العلم وفهمه، بدل أن تكون رثّ الحال " فاقتنع المعاتب بجواب الشيخ، وقبّل عذره. (٧)

ولا ريب أن المراسلات بين العلماء تكشف لنا جانبا من العلاقات القائمة فيما بينهم، وينطوي مضمونها على دلائل ومؤشرات تعكس شخصية كل من المرسل والمرسل إليه، ومما بقي محفوظا من المراسلات بين الشيخ راشد ومعاصريه تلكم الرسالة الصادرة من الشيخ عبدالله بن راشد بن صالح الهاشمي إلى الشيخ راشد، يقول فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم إلى جناب شيخنا الفقيه العدل الأخ راشد

ففيها، تولى للإمام الخليلي قضاء نخل، وقد عاش محمود السيرة إلى أن توفاه الله تعالى. (١٥)

- البيئة العلمية بالرستاق في حياة الشيخ راشد ودوره فيها :
محلة قصرى المذكورة سابقا معروفة على مرّ التاريخ موطناً لأهل العلم والفضل،
ففيها بيت العلامة خميس بن سعيد الشقصي- صاحب كتاب (منهج الطالبين)،
وربّيه الإمام ناصر بن مرشد العربي وغيرهما، وتقع قريبا من قلعة الرستاق مركز
الحكم ومقرّ القيادة على مرّ التاريخ، وتحديدًا تقع محلة قصرى في الشمال الشرقي
من القلعة يقول الشيخ محمد ابن نور الدين السالمي واصفا قصرى في عهد الشيخ
راشد : " كانت الرستاق ذلك الوقت معدن العلماء ومجمعهم بقصرى، وهي
حارة من حوايرها، فلا تسل عما هنالك من الأفاضل وكشفهم لمعضلات المسائل
". (١٦)

ومما يُلمح أيضا عن البيئة العلمية في الرستاق في مرحلة تعلّم الشيخ راشد وذلك
قبل قيام دولة الإمام عزان بمدة يسيرة من الزمن أن السيد المفضال قيس بن عزان
بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد - وهو أمير الرستاق حينها- كان يحبّ طلبه
العلم وينفق عليهم ويقربهم، وكان عنده عدد من العلماء والمتعلمين من أهل
الباطنة، حتى إن غرفة الصلاة في قلعة الرستاق - وهي غرفة الاستقبال - لا تجد
فيها غالبا إلا ناسخا أو ممليا أو مصحّحا أو مدرّسا أو مكرّرا، وكان السيد قيس

يجلس عندهم إذا ارتفع من مجلسه العمومي؛ فيقدم لهم من كل ما يوجد من طُرف الفواكه من السوق كل شيء في أوانه ترغيباً لهم، ومحبة لما هم بصدد من العلم ودراسته. (١٧)

وكان الشيخ راشد قد لازم العلماء والأفاضل في الرستاق، وأهم تلك الشخصيات وأبرزها الشيخ عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي، و الشيخ ماجد بن خميس العبري، و السيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان البوسعيدي، وستحدث عن جانب من سمات هذه الشخصيات التي لازمها الشيخ راشد، ولا سيما أن لكل شخصية من هذه الشخصيات أثراً كبيراً على مجتمع بلده الرستاق من الناحيتين السياسية أو الثقافية.

فالشيخ الجليل عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي كان يومئذ أكبرهم سنّاً (١٨)، وقد أخذ العلم عن الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، وكان عضداً قوياً له عند قيامه بالإصلاح، كما كان والياً للإمام عزان على الرستاق، وأحد جهابذة العلماء المشهورين بالفضل، وأحد القضاة القائمين بالرستاق (١٩)، وليس ببعيد أن يكون الشيخ راشد أحد تلامذته.

وتتلمذ الشيخ راشد على يد الشيخ ماجد بن خميس العبري - كما سبق - الذي نزل الرستاق قادما من موطنه الحمراء عام ١٢٧١ هـ بعد وفاة والده، وقد وجد في الرستاق الشيخ العلامة محمد بن سليم الغاري فتتلمذ على يديه، وعند قيام دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي - رحمه الله - عام ١٢٨٥ هـ عينه واليا على بهلى، ثم رجع إلى الرستاق مرة أخرى بعد استشهاد الإمام عزان عام ١٢٨٧ هـ، ومكث بها إلى عام ١٣٠٥ هـ.

والشيخ ماجد كان واليا وقاضيا وأديبا ناظما للشعر، توجد له أجوبة في فنون مختلفة، وله أشعار ذكر طرف منها في كتاب (شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان)، ومن بين ما ورد في الشقائق نظم الشيخ ماجد سؤالا منشورا ورد إليه من الشيخ راشد بن بن سيف اللمكي، يقول صاحب الشقائق متحدثا عن الشيخ ماجد : " وقد ورد إليه سؤال من الشيخ راشد بن سيف اللمكي نثرا، فنظم الشيخ (أي الشيخ ماجد) السؤال والجواب، قال :

سؤال من اللمكي أخو الحلم راشد	إلى خلّهِ العبري يُدعى بماجد
إذا كانت الغلات تبقى كثيرة	بكفّ وكيل حافظ للمساجد
وليس لها من سنة تستجيبها	وقد فضلت غلاتها من عوائد
فما القول فيها يا أخا العلم والحجا	عداك الأذى والشر - من كل حاسد

ثم نظم الشيخ ماجد الجواب أيضا قائلا في مطلعته :

إليك جوابا فاصغ نحو الفوائد عن السادة الأخبار والشيخ جاعد
إلى آخر ما قاله في جوابه هذا. (٢٠)

ويروى لنا الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبدي (وُلد عام ١٣١٤ هـ) رؤيا
رآها الشيخ راشد بن سيف اللمكي، وقد روى ذلك في ترجمته لشيخه ماجد بن
خميس العبدي، وأن هذا الأخير كان يترسم خطأ الإمام أبي سعيد الكدمي في آثاره
العلمية، يقول الشيخ إبراهيم : " ومما يؤيد هذا ما حدث به الشيخ العالم الفقيه
راشد بن سيف بن سعيد اللمكي الرستاقى - رحمه الله - وأنا حاضر معه، قال :
رأيت ذات ليلة الشيخ أبا سعيد حيّا، ثم خرج عنا يمشي، ورأيت الشيخ ماجد
خرج معه يتبعه، ويضع قدمه مكان قدم الشيخ، فإذا رفع الشيخ الإمام قدمه من
الأرض وضع الشيخ ماجد قدمه مكانها، إلى أن غاب عن نظري " يقول الشيخ
إبراهيم متابعا حديثه وواصفا هذه الرؤيا : " وهذه الرؤيا حق فإن الشيخ (أي
الشيخ ماجد) كان يحذو طريقة الإمام (أي الشيخ الكدمي) حذو القُذّة بالقُذّة ".
(٢١)

كما لازم الشيخ راشد أيضا السيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان البوسعيدي
الذي كان محبّا للعلم وأهله، وكان يبذل من ماله للعلم والمتعلمين؛ تشجيعا لهم

كنسخ الكتب ووقف الأموال، من ذلك دعوته لقطب الأئمة الشيخ العلامة محمد بن يوسف أطفيش الميزابي الجزائري - رحمه الله - لشرح القصيدة العبرية للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي صاحب بيان الشرع ، يقول القطب - رحمه الله - في مقدمة شرحه : " وبعد فقد دعاني الشيخ الرئيس الأصيل الفصيح البليغ الكاتب الجليل فيصل بن حمود العزاني الإباضي الوهبي العماني أن أشرح العبرية شرحا خاليا من الإكثار من مسائل المعقول مقتصرًا على المنقول من أحاديث الرسول ... " (٢٢)

ومما يثبت العلاقة بين الشيخ راشد والسيد فيصل - وهو يثبت في الوقت نفسه عناية السيد فيصل بالعلم - ما نجده في مخطوط (مكنون الخزان وعيون المعادن) للشيخ موسى بن عيسى البشري يقول الشيخ راشد في آخر الكتاب : " وتمت القطعة الأولى من النصف الأول من قطعة الأديان من كتاب مكنون الخزان وعيون المعادن الذي ألفه الشيخ العالم الفقيه النحرير موسى بن عيسى ويتلوها القطعة الثانية من النصف الأول من قطعة الأديان فكان مجموع قطعة الأديان في أربعة مجلدات نُسخ لسيدنا التقي الزاهد الرضي الثقة الورع الهمام فيصل بن حمود بن عزان أعز الله به الإسلام وأهله والحمد لله حقَّ حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ورسوله وعبداه وعلى آله وصحبه وكل سالك سبيل هداه من بعده .

كتب هذا العبد الحقير راشد بن سيف بن سعيد اللامي بيده بتاريخ يوم ٧ من شهر الحج سنة ١٣٠٣ هـ. (٢٣)

وقد كان نسخ هذا الكتاب للسيد فيصل مقتسماً بين الشيخ سالم وأخيه الشيخ راشد؛ فكان عمّل الشيخ سالم نسخ الكتاب، وعمّل الشيخ راشد ترتيب أبوابه.

ومن عناية الشيخ بالعلم أن أنشأ مكتبة في منزله، جمع فيها كتباً قيمة من فنون العلم وأجلها، وقد أقام نسخاً ينسخون له الكتب على رأسهم أخوه الشيخ سالم بن سيف اللامي، والشيخ مسعود المنذري، وسيف بن علي الفرقاني، ومسعود بن صباح الكندي بالولاء، وعلي بن سليم الخصيبي، فأغلب الكتب الموقوفة من نسخ هؤلاء النساخ المذكورين، على نفقة الشيخ ناصر بن سليمان اللامي، الذي كان يرسل القرطاس الشامي، وغلائف الكتب. (٢٤)

ومن الأمثلة على الكتب المنسوخة له أمره لأخيه سالم بنسخ كتاب (مقاليد التصريف) للعلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي - رحمه الله - ؛ أي بعد إحدى عشرة سنة من استشهاد المحقق الخليلي، يقول الناسخ في آخر المخطوط : " تم الكتاب المسمى (مقاليد التصريف) وهو تأليف الشيخ العالم الفاضل الزاهد الفصيح فريد دهره ووحيد عصره سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي البوشري رحمه الله وغفر له اللهم اجعله معلماً وإماماً وانفعنا ببركة دعاه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد ولا قوة إلا بالله العلي الصمد الكريم العظيم آمين .
 وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب الشريف يوم ١٨ من شهر محرم سنة ١٢٩٨ م
 كتبه للشيخ الفقيه العالم الزاهد الورع راشد بن سيف اللمكي الفقير لله المعترف
 بالذنب والتقصير سالم بن سيف اللمكي بيده " . (٢٥)

ومن بين تلك الكتب المنسوخة أيضا (قاموس الشريعة) تسعون جزءا، و(بيان
 الشرع) اثنان وسبعون جزءا، و(المصنف) أربعون جزءا، و(التمهيد) أربع قطع،
 و(منهج الطالبين)، وجامع أبي محمد، وكتاب المعترف، وكتاب (الاشتقاق) لابن
 دريد، و(جامع ابن جعفر) ثلاث قطع، و(اللباب) قطعتان، و(كرسي الأصول)،
 يُضاف إلى ذلك ما حوته مكتبته - ولو من بعده - من الكتب المطبوعة، كتفسير
 الشيخ محمد بن أطفيش (هيميان الزاد)، وتفسير الفخر الرازي، وتفسير
 الكشاف، وكتاب النيل، ومعجم تاج العروس، وحاشية الصبّان، وحاشية
 الترتيب، وجوهر النظام، وطلعة الشمس، ومشارك أنوار العقول. (٢٦)

يضاف إلى هذه الحركة العلمية قيام الشيخ بالتدريس في مسجد قصرى حتى كان
 جملة من اجتمع إليه من التلامذة يسرج لهم في مسجد قصرى بسبعة مصابيح
 (٢٧)، ومن جملة من تخرج على يديه من العلماء الإمام نور الدين السالمي، وابن
 عمه العالم الأديب أبو نذير شيخ البيان محمد بن شيخان السالمي الشاعر

المشهور (٢٨)، والإمام سالم بن راشد الخروصي، وأخوه الشيخ ناصر بن راشد الخروصي (٢٩)، والشيخ خلفان بن عثمان بن خميس بن الشيخ جاعد بن خميس الخروصي (٣٠)، والشيخ راشد بن سعيد بن شوين البداعي (٣١)، والشيخ سالم بن سيف اللمكي (٣٢)، والشيخ محمد بن شامس الرواحي (٣٣)، وكذلك أدركه في أواخر عمره الشيخ محمد بن حمد الزاملي. (٣٤)

ويروى عن الشيخ راشد قوله: "أخذت العلم عن الشيخ ماجد فصرّت أوسع منه علماً، وأخذ مني الشيخ السالمي فصار أعلم مني، ولا فخر، ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم". (٣٥)

ومن طريف المواقف مع طلبته ما رواه لنا فضيلة الشيخ الجليل سعيد بن خلف الخروصي - حفظه الله - نقلاً عن سمعه أنّ الشيخ راشد كان يدرّس طلابه فجاءه رجل في أمر، فخرج الشيخ عن طلابه قليلاً ليقضي أمر الرجل، فلمّا رجع وجد تلميذه نور الدين السالمي منعزلاً عن أقرانه في زاوية يقرأ كتاباً، فناداه: "أنت يا ولد، ماذا تفعل هناك؟"، فردّ نور الدين السالمي: "أقرأ هذا الكتاب"، فأخذ الشيخ الكتاب فوجده في أصول الفقه، فاستصعب الأمر على تلميذه وهو في مقتبل عمره وبداية تعلّمه، فقال له: "وما عساك أن تفهم من هذا الكتاب؟"، فأجاب نور الدين: "يا شيخني هذا الكتاب مكتوب باللغة العربية، وأنا أعرف القراءة، وأفهم ما فيه"، فتعجب الشيخ من جرأته وجوابه، وقال له: "طيب،

كما كان حريصا على إرشاد الناس، وترغيب الأغنياء على وقف أموالهم لأبواب البر، يدل على ذلك الوصايا المكتوبة بخطّ يده، وشهادة أخيه سالم عليها، ودوّن الوصايا بنفسه في مجلد خاصّ؛ حفظا لها، وحرصا منه على بقائها. (٣٩)

وقد صدح الشيخ راشد بشعره واصفا مقام كتبه؛ لما يجد فيه من حياة القلوب، وغناء النفوس، وغذاء العقول، ولا تزال إلى يومنا هذا أموال خضراء موقوفة في الرستاق تُعرف بأموال المتعلمين.

إن هذه الحياة العلمية الحافلة التي حظي بها الشيخ راشد في الرستاق تجدد صداها في شعره كالحديث عن صحبة أهل العلم ومجالستهم والاستئناس بهم، والحث على طلب العلم وبذل الحياة فيه.

- آثاره العلمية والأدبية :

أما عن آثاره فقد ترك الشيخ آثارا علمية وأدبية (٤٠)، هي كالتالي:

١ - (مجموع مسائل في مختلف الدعاوي والأحكام والديانات)، هكذا وردت

تسميته في المصادر، وقد استلمت من الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي

مشكورا نسخة مخطوطة من مجموع مسائل أجاب عنها الشيخ راشد،

ولعله هو الذي تذكره المصادر، وهذا المجموع في ثمانين صفحات، تشمل

على ثمانين عشرة مسألة، سئل الشيخ راشد في ست عشرة مسألة منها

فقط، في أبواب متنوعة من الفقه كالصلاة والطلاق والنكاح والميراث

والزكاة والضمان وغير ذلك، أما المسألتان الأخيرتان فقد وجهت الأولى

منهما إلى الشيخ عبدالله بن ماجد بن خميس العبري وهي مسألة نحوية، أما

المسألة الأخيرة فهي سؤال نظمي لم يرد له جواب، ويبدأ هذا المجموع

بقول الناسخ : " أسئلة للشيخ العالم الورع النزيه راشد بن سيف بن سعيد للمكي أبقاه الله لنا معافى مُعَاناً صدرت من العاجز المحتاج إلى عفو الله ورحمته خادم العلم والمسلمين علي بن خميس بن راشد العبدي بيده ... " (٤١)، وينتهي بسؤال نظمي ورد كالتالي :

إذا ذبح الإنسان يوماً شُويَةً فبان له في بطنها فصُّ ياقوتِ
لمن حكمه؟ قل لي، وهل فيه واجب نصيب لبيت المال في عصر طالوتِ؟
وقل لي ما معنى الهيولا ومثله الـ أقانيم والناسوت أيضاً كلاهوتِ؟
وكم كانت الألواح لما رَمَى بها الـ كليمٌ؟ وماذا كان في بطن تابوتِ؟

٢- المسالك في علم المناسك : مخطوط في الحج، توجد نسخة منه في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بولاية السيب، مصنف تحت رقم (٦٠٩).

٣- قصائد في فضل العلم والتحريض على نشر الحق، وقصائد في المواعظ والحكم والسلوك، وأجوبة نظمية، وقد سعى إلى جمع شتاتها هذا الديوان الذي بين يديك.

٤- مجموع أدعية ومواعظ وخطب (٤٢)، وهي كالتالي :

أ- دعاء قدوم شهر رمضان.

ب- دعاء المناجاة : دعاء تضرع وابتهاال وتبتل للواحد الأحد الفرد الصمد.

ج- (الدعاء الجامع بالاسم الجامع) : يشتمل على مقدمة وخاتمة، بينهما ستة وعشرون مقاما.

د- دعوة الفتوحات المدنية لنظام الأمة المحمدية : وهو دعاء لنصرة الحق وأهله والانتقام من البغاة الظالمين.

هـ- موعظة لأهل زمانه من عمان.

و- موعظة حسنة تحث على التمسك بسيرة الأنبياء ونهج الأولياء الصالحين.

ز- الدعوة الاستغاثية : وهو دعاء الاستسقاء.

ح- خطبة عيد الفطر المبارك.

٥- ديباجة لكتاب (كرسي أصول الدين في الولاية للمؤمنين المتقين والبراءة من الكافرين والمنافقين والحجة على الملحدين الضالين) للشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي : وقد صاغ الشيخ راشد هذه الديباجة لتكون مقدمة للكتاب المذكور، يقول موضحا ذلك : " الله ربي وهو حسبي وبه أستعين على القول بالحق لسلوك منهج الصدق، وبعد فهذه ديباجة أنشأناها وضعا وسردناها رصعا للكتاب المسمى بكرسي الأصول ، الذي تدهش من جلالة عظمتة العقول، تصنيف من عقم الزمان أن ينتج بمثاله من الجهابذة الفحول، شيخنا البحر الزاخر، الحارز قصبات السبق بكليات المفاخر، وإن قيل الفضل للمتقدم فكم ترك الأول للآخر، ومع أننا لم نجد بأوله ديباجة كما جرى به أسلوب المصنفين

فقلنا معترفين بحمد الله أن الإنفاق على قدر سعة الأرزاق... "(٤٣) ثم يأتي بدباجته البديعة مثنيا فيها على المحقق الخليلي ورافعا شأن كتابه. وبنظرة عجل يظهر أن الشيخ راشد كان مهتما بآثار المحقق الخليلي، وقد عكس هذا الاهتمام تأثره به؛ فنجد أنه ينحو منحى أستاذه في أسلوبه وطريقته شعرا ونثرا؛ فما تلك الأدعية والأوراد والتضرع والابتهاال في شعره ونثره إلا نفحة من نفحات السلوك، نسجها على منوال المحقق الخليلي، وما تلك المواعظ الحسان إلا استلها من منهجه في إصلاح المجتمع، وترسم لخطاه في النهوض بالحق لدحض الباطل، ويجاريه كذلك فيصوغ على طريقته خطبتي الاستسقاء وعيد الفطر، يضاف إلى ذلك تأثره أيضا بكتب الرقائق وتهذيب الأخلاق ككتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الغزالي مما سيظهر لك لاحقا.

- وفاته رحمه الله -

توفي الشيخ راشد عام ١٣٣٣ هـ وكان له من العمر إحدى وسبعون سنة، أي بعد السنة التي توفي فيها تلميذه نور الدين السالمي وبعد قيام دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي، ودفن في مقصورة سبأ شرقي محلة قصرى، وهي يومئذ ملك له، وبها دفنت أيضا أسرته الفاضلة (٤٤)، وهكذا انطوت صفحة مدرسة عظيمة من مدارس الكفاح للعلم وإصلاح المجتمع من سجل تاريخنا الحافل بأعلامه وأمجاده، رحم الله تلك النفس الطاهرة، وتغمدها برحمته، وأسكنها فسيح جناته.

الهُوَامِش

- (١) انظر: مخطوط (ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بخط الشيخ سيف بن سالم بن سيف اللمكي، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ، ص ١)، كما وجدت هذا النسب للشيخ في القطعة الرابعة من مخطوط مكنون الخزائن رقم ٥٣٥ يقول الناسخ للمخطوط الشيخ سالم أخو الشيخ راشد: "تمت الأبواب في جامع الشيخ موسى بن عيسى في الأديان كتبه سالم بن سيف بن سعيد بن راشد اللمكي بيده"، وكذلك وجدته في مخطوط (مسالك المناسك) للشيخ راشد بخط الناسخ له حمد بن عبدالله بن حسن بن علي البلوشي نسبا الإباضي مذهباً بمكتبة السيد محمد بن أحمد مصنف تحت رقم (٦٠٩).
- (٢) انظر: نهضة الأعيان، ص ٢٠٨ - شقائق النعمان، ج ٣، ص ١٣٥. لكن في مخطوط (ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي) ذكر أن تاريخ ولادته عام ١٢٧٠ هـ، وبعد التباحث مع الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي في هذا التاريخ أوضح لي أن هذا العام (أي ١٢٧٠ هـ) هو عام ولادة الشيخ سالم بن سيف اللمكي أخي الشيخ راشد، أما الشيخ راشد فتاريخ ولادته هو

عام ١٢٦٢هـ، ومعروف أن الشيخ راشد أكبر سنا من أخيه سالم، بل هو أستاذه كما سird.

(٣) الرستاق على صفحات التاريخ، ص ٦٢ و ٦٦ .

(٤) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص ١ .

(٥) شقائق النعمان، ج ٣، ص ١٣٥ - نهضة الأعيان، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٦) نهضة الأعيان، ص ٢٠٩ .

(٧) هذه القصة سمعتها عدة مرات من الشيخ سعيد بن خلف بن محمد

الخروصي (مساعد المفتي العام للسلطنة) - حفظه الله - ، آخرها كان في

زيارة له بمنزله العامر بالوادي الكبير بمسقط وذلك تقريبا في شهر شوال

لعام ١٤٢٩هـ الموافق أكتوبر ٢٠٠٨م، وبعد أن دوّنتها عرضتها عليه

مكتوبة فأقرها، وكذلك القصة التي سترد لاحقا مروية عنه، والشيخ

سعيد قد عاش في الرستاق حين كان قاضيا بها، وله صلات كبيرة

بالرستاق وأهلها، ولا تزال السنة الخاصة والعامة تذكر نداه وحكمته

وعلمه.

(٨) ما بين القوسين غير واضح في الأصل بسبب خرم وأتمته بما يقتضيه

السياق.

(٩) (صاحبة) وردت في الأصل (صاحبة)، ولعل المراد ما أثبتته، وهو نداء المستغيث والمستنجد.

(١٠) (طَرَّشْنَا) لغة عمانية بمعنى (بعثنا) و(أرسلنا).

(١١) (لتجلد لها) هكذا ورد الفعل في الأصل متعديا باللام.

(١٢) ما يلي في الفقرة التالية ورد ملحقا بآخر الرسالة، وكأن الشيخ الهاشمي استدرك الأمر بعد أن ختم رسالته.

(١٣) (أن) غير واردة في الأصل والسياق يقتضيها فأثبتها، ولعلها سقطت سهوا.

(١٤) رسالة ملحقة بآخر مخطوط "جواهر الآثار" للشيخ جمعة بن علي الصائغي، الجزء الأول من القطعة الثانية عشرة، دار المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، رقم المخطوط (٢٧٩).

(١٥) معجم الفقهاء، ج ٢، ص ٢٧١.

(١٦) نهضة الأعيان، ص ٣٥٢.

(١٧) تبصرة المعتبرين، ص ٨٤ - وانظر: شقائق النعمان، ج ٣، ص ١٠٧ - نهضة الأعيان، ص ٣٤٦.

(١٨) تبصرة المعتبرين، ص ٨٤.

(١٩) معجم الفقهاء، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢٠) شقائق النعمان، ج٣، ص ١١٨.

(٢١) تبصرة المعتبرين، ص ٨٦، وفي معنى (القُدَّة) يقول صاحب لسان العرب: " وفي الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم قال: أنتم (يعني أمته) أشبه الأمم ببني إسرائيل تتبعون آثارهم حَذُو القُدَّة بالقُدَّة " يعني كما تقدر كل واحدة منهن على صاحبها وتقطع، وفي حديث آخر: لتركبن سنن من كان قبلكم حَذُو القُدَّة بالقُدَّة " قال ابن الأثير: " يُضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان " (لسان العرب، مادة قذذ).

(٢٢) الجنة في وصف الجنة، ص ٢.

(٢٣) مكنون الخزائن، ص ٢٣١.

(٢٤) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص ٤.

(٢٥) مقاليد التصريف، ص ٣٦٠.

(٢٦) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص ٤. وفي مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي مخطوطات عديدة نُسخَت للشيخ راشد، وما ذُكر سابقاً على سبيل التمثيل.

(٢٧) نهضة الأعيان، ص ٢٠٩.

(٢٨) شقائق النعمان، ج١، ص ١٨٩.

(٢٩) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، ص ٣.

- (٣٠) معجم الفقهاء، ج١، ص ١٩٤.
- (٣١) معجم الفقهاء، ج١، ص ٢٢٥.
- (٣٢) معجم الفقهاء، ج١، ص ٢٢٩.
- (٣٣) شقائق النعمان، ج٣، ص ١٣٥.
- (٣٤) قلائد الجمان، ص ٣٦٤.
- (٣٥) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللامي، ص ٣.
- (٣٦) هذه القصة سمعتها من الشيخ سعيد بن خلف بن محمد الخروصي (مساعد المفتي العام للسلطنة) - حفظه الله - في زيارة له بمنزله العامر بالوادي الكبير بمسقط، وذلك تقريبا في شهر شوال لعام ١٤٢٩ هـ الموافق أكتوبر ٢٠٠٨ م. (انظر: الهامش (٧))
- (٣٧) الرستاق عبر التاريخ، ص ٨٦.
- (٣٨) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللامي، ص ٤.
- (٣٩) ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللامي، ص ٧.
- (٤٠) انظر: شقائق النعمان، ج٣، ص ١٠٧ - نهضة الأعيان، ص ٣٤٦ - معجم الفقهاء، ج١، ص ٢٢٩.

(٤١) مجموع مسائل فقهية (مخطوط) أفادني به الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي

من مكتبته القيمة، ص ١. (لدى الباحث صورة منه)

(٤٢) مجموع أدعية ومواعظ وخطب أفادني به الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي

من مكتبته القيمة. (لدى الباحث صورة منه)

(٤٣) كرسي أصول الدين، ص ٦٨.

(٤٤) الرستاق على صفحات التاريخ، ص ٦٢.

ب- الحياة السياسية والأدبية في عصر الشيخ راشد (١٢٦٢هـ -

:(۱۳۳۳

١- الحياة السياسية :

الشعر انعكاس للمشاعر والأحاسيس التي تجول في نفس الشاعر نتيجة التأثير بموقف يستثيره ؛ فالبيئة المحيطة به من طبيعة وأفراد وأحداث وغير ذلك لها وقعها الذي يحرك وجدانه ، ويدفعه إلى التعبير عنها بنظرته الخاصة في قلبه الشعري ؛ فالشاعر يتنفس برئة بيئته ، ويتأثر بمن حوله ويؤثر فيه.

و حين تتأمل في بعض الموضوعات التي طرقها الشيخ راشد اللمكي في شعره كالإبتهال الديني والاستنهاض ، وما يشوب هذه الموضوعات من تفاؤل بتبدل الأحوال إلى ما هو أحسن ، ومن وصف لما آلت إليه شرعة الإسلام - كل ذلك وغيره تجده متسقاً مع الأحداث التاريخية العمانية التي جرت في عصر الشيخ راشد خاصة في محيط بلده الرستاق .

ولأهمية ذلك سنوجز الحديث عن أهم الأحداث التاريخية في المدة التي عاشها الشيخ راشد اللمكي (١٢٦٢هـ - ١٣٣٣هـ)، ولا سيما في محيط بلده الرستاق؛ باعتبارها مسرحاً مهماً لأحداث تلك الحقبة الزمنية.

ففي السنة التي ولد فيها الشيخ راشد (١٢٦٢ هـ) كانت عمان يحكمها السلطان سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي ، إلا أن ابن عمه السيد

حمود بن عزان بن قيس ابن الإمام أحمد بن سعيد قد خرج عن السلطان سعيد ، فاستولى على بعض البلدان والحصون منها الرستاق وصحار والخابورة ، ثم قلّد أمرها للعلماء في أوائل هذه السنة ، فكان أمر الرستاق بيد الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ، واجتمعوا في جامع البياضة بقلعة الرستاق يوم ٢٤ شعبان من هذه السنة ؛ لتنصيب حمود بن عزان إماما للمسلمين ، فلم يتم لهم ذلك ، وأشاروا على غيره فلم يجدوا منهم سبيلا ، وتلا ذلك أن السلطان سعيد بن سلطان قد قبض على حمود بن عزان ، واستردّ صحار، وقسم مملكته بين أبنائه (تركي وثويني وماجد)، أما الرستاق فقد بقيت بيد قيس بن عزان أخي حمود بن عزان .

وفي عام ١٢٧٣هـ توفي السلطان سعيد بن سلطان ، فآل أمر الحكم إلى ولده السلطان ثويني ، وبقيت الرستاق بيد قيس بن عزان ، الذي كان حسن السيرة فيها ، ثم تواجه في السوق هو (أي السيد قيس) وهلال بن محمد ابن الإمام أحمد بن سعيد والي السوق لابن عمه السلطان ثويني ، وقد أودت تلك المواجهة بحياتهما معا .

وبعد قتل قيس بن عزان آل أمر الرستاق إلى ولده عزان بن قيس وهو الذي نصب إماما فيما بعد ، وعلى أثر ذلك الاقتتال المذكور سَيَّر السلطان ثويني جموعه إلى

وفي عام ١٢٨٧ هـ استشهد الإمام عزان بن قيس وبعض رجالات دولته في حرب دارت رحاها بينه وبين تركي ابن سعيد الذي عاد من الهند لهذا الغرض، وتولى حكم عمان عقب استشهاد الإمام، أما الرستاق فبقيت بيد فيصل بن حمود ابن عم الإمام وأحد قواده العسكريين في عهد إمامته، إلا أنه تنازل عن حكم الرستاق لابن عمه إبراهيم بن قيس (أخي الإمام عزان)، واعتزل فيصل بن حمود في بيت القرن من الرستاق، وكان حسن السيرة محباً للعلم والعلماء، وكان له أثر ملحوظ في الشيخ راشد، وفي عام ١٣٠٥ هـ توفي السلطان تركي بن سعيد، وتولى الحكم بعده ولده السلطان فيصل.

وفي أول سنة ١٣٠٦ هـ يقوم السلطان فيصل بن تركي بجمع الجيوش ليستولي على الرستاق، فيدخلها من جهتها الشرقية ويعسكر في برج المزارعة أولاً، ثم يسحب منه المدافع ويقربها من قلعة الرستاق ويضربها، وفيها إبراهيم ابن قيس وأبناء أخيه الإمام عزان بن قيس لكن لا يتمكن السلطان من الاستيلاء على الرستاق، فيرجع إلى عاصمته مسكد.

وفي ١١ من محرم سنة ١٣١٦ هـ توفي إبراهيم بن قيس أخو الإمام بالرستاق، ويتولى بعده أمر الرستاق سعود ابن الإمام عزان، وقد سعى سعود إلى جمع العلماء والأفاضل كالشيخ عيسى بن صالح الحارثي والشيخ ماجد بن خميس العبري والسيد فيصل بن حمود في قلعة الرستاق، وسلمهم أمر القلعة لإقامة العدل،

وفي عام ١٣٣٠ يقوم محمد وإبراهيم أبناء فيصل بن حمود بقتل سعيد بن إبراهيم، بقلعة الرستاق؛ رغبة منهم في قبض أمرها، لكن يقوم أبناء سعيد بن إبراهيم، بقتلها، ويأتي أحمد بن إبراهيم أخو سعيد المقتول من الحزم ويتولى أمر.

الرستاق. (٢)

وفي عام ١٣٣٢ هـ قامت دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي بنزوى، وفي عام ١٣٣٣ كانت وفاة الشيخ راشد بن سيف اللمكي رحمه الله.

ومن خلال هذا الموجز التاريخي يمكن أن نستنتج جملة من الجوانب ذات الصلة بشخصية الشيخ راشد وحياته وثقافته :

(١) معاصرة الشيخ راشد للمحقق الخليلي ، وملازمته لبعض من عايشوه
واتصلوا به ، فالشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي كان من تلامذة المحقق الخليلي ،
وكان الشيخ الهاشمي و الشيخ ماجد بن خميس العبري من رجال دولة الإمام
عزان التي سيّس أمرها المحقق الخليلي ، وكلا الشيخين الهاشمي والعبري قد
لازمهما الشيخ اللمكي بالرستاق ، وكذلك السيد فيصل بن حمود الذي كان قائدا
عسكريا في دولة الإمام عزان (٣) ، وقد كان عُمر الشيخ راشد حين استشهد
المحقق الخليلي قرابة خمس وعشرين سنة ، ومعلوم أن المحقق الخليلي عالم عمان في
عصره ، وكان بالغ الشهرة بتقواه وعلمه وأدبه ، فكل هذه المؤشرات التاريخية
تعكس مدى اهتمام الشيخ راشد بشعر السلوك .

(٢) صفات الشخصيات التي لازمها الشيخ اللمكي واتصل بها : فالسيد فيصل بن حمود كان رجلا فاضلا محبا للعلم ، وكان قائدا عسكريا في دولة الإمام عزان ، كما أن الشيخ ماجد بن خميس العبري والشيخ عبدالله بن محمد بن صالح الهاشمي مع علمهما وأدبهما الرائق كان لهما دور سياسي في دولة الإمام عزان، فجميع هؤلاء شخصيات بارزة ، حنكتها الحياة بتجاربها ، وجمعت بين السياسة والعلم .

(٣) بدأت ملازمة الشيخ راشد الحقيقية والمتواصلة للسيد فيصل بن حمود بعد انتهاء دولة الإمام عزان عام ١٢٨٧ هـ، وعلى أثر ذلك اعتزل السيد فيصل في محلة (بيت القرن) بجوار قلعة الرستاق جنوبا تاركا حكم الرستاق لابن عمه إبراهيم بن قيس، ويتضح أن مدة ملازمة الشيخ راشد للسيد فيصل دامت قرابة ٤١ عاما من عام ١٢٨٧ هـ تقريبا إلى وفاة السيد فيصل عام ١٣٢٨ هـ، وقد كان عمر الشيخ راشد عند بداية ملازمته للسيد فيصل قرابة ٢٥ عاما، فهو في زهرة شبابه، وقد وجد من السيد فيصل حبه للعلم ، وإجلاله للعلماء، وتشجيعه على نسخ الكتب وتأليفها.

(٤) ما يذكره الإمام نور الدين السالمي من الرجوع إلى القاضي راشد بن سيف اللمكي لكتابة وصية ، فإن أمور القضاء والفتيا كانت ترد إليه كما اتضح ذلك سابقا.

الجارف الذي عرف بـ (جرفة رمضان) مما أورث خصبا كثيرا بعمان نستأنس منه جانبا من أوضاع المجتمع ، وما يعتريه من أحوال الجذب التي أثرت على الوضع الاقتصادي ، وهذا ما انعكس في قصيدة الشيخ راشد اللمكي في وصفه لفلج المحيول مرة معاتباً إياه حين شحّ بمائه ، ومرة مادحاً إياه حين جاد بمائه المتدفق ونمت مزروعات بستانه.

٢- الحياة الأدبية :

كانت الساحة الأدبية في عمان في الحقبة التي عاشها الشيخ راشد والسابقة لها تزخر بالشعراء العُمانيين الذين طرّقوا أغراض الشعر من غزل ووصف ومدح ورثاء وسلوك وحكمة ووعظ وإرشاد، وتعد موضوعات الحكمة والوعظ والإرشاد هي أغلب الموضوعات التي اتسم بها الشعر العماني على مر عصوره الأدبية ، هذا فضلاً عن الأراجيز في العقيدة والفقه وأصوله ، وفي علوم اللغة العربية وغير ذلك .

أما شعر السلوك فقد برع فيه ومهد طريقه الشيخ الرئيس أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي - رحمه الله - الذي توفي قبل ولادة الشيخ راشد اللمكي بخمس وعشرين سنة ، وشهرة الشيخ الرئيس في علمه وشعره أطبقت الآفاق ، فهو علامة زمانه بلا منازع ، وخلفه من بعده في ريادة هذا الأمر ابنه ناصر ابن أبي

نبهان الخروصي - رحمه الله - الذي توفي بعد ولادة الشيخ راشد بسنة تقريبا؛ أي سنة ١٢٦٣ هـ، ثم استلم الريادة الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي - رحمه الله - الذي استشهد سنة ١٢٨٥ هـ، حينها كان عمر الشيخ راشد خمسا وعشرين سنة .

ثم يخلفه في الريادة العلامة أبو مسلم البهلاني - رحمه الله - الذي كان في مهجره الإفريقي معاصرا للشيخ راشد؛ وكان على صلة بوطنه عمان، وقصائده تطير بها الركبان إلى عمان وغيرها، وقد كان عمره خمسا وخمسين سنة حين توفي الشيخ راشد، من هنا يتضح أن الشيخ راشد قد عايش بيئة أدبية خصبة بالشعر السلوكي، في مدة كان الشعر السلوكي في أوجه، إذ عاصر علمين من أعلامه، ومن سبق في هذا المضمار ليس ببعيد عنه، فلا غرو إن طرق هذا الباب وأجاد فيه. ومن الشعراء الذين طرّقوا غرض المدح الشيخ أبو الأحول سالم بن محمد الدرّمكي، صاحب القصيدة الشهيرة ذات المطلع الغزلي، صاغها في مدح السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، وقد تسابق الشعراء في معارضتها وتباروا في ذلك، ومطلعها :

ما بين بابي عين سعة واليمن سوق تباع به القلوب بلا ثمن
وله قصائد في مدح الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي، ومن شعراء المدح في بلاط الدولة البوسعيدية المؤرخ الكبير ابن رزيق النخلي، والشيخ الفقيه هلال

بن سعيد المعروف بابن عرابة ، ولا بن رزيق أيضا قصائد في مدح الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي .

وشعراء المديح في بلاط الدولة البوسعيدية يحفلون بالمقدمة الغزلية في مطالع قصائد المدح ، فقد ذكرنا المطلع الغزلي لقصيدة أبي الأحول ، وكذا نجد ابن عرابة - مثلاً - في مدحه للسيد محمد بن السلطان سعيد بن سلطان يستهل قصيدته بقوله :

ولي طفلة غرثى الوشاحين قدها يحاكي القنا في لينه واعتداله
كما نجده يحفل بالمقدمة الطللية في قوله :
يا حادي العيس قف بالجزع والعلم واسكب هناك دموع العين كالديم
إلى قوله :

معاهد قد عهدنا الغانيات بها محروسة بالقنا والبيض والدهم
وكذا ابن رزيق في مدحه للسيد محمد بن سالم بن سلطان ابن الإمام يقول في مطلع قصيدته :

لسكينة في قلب عاشقها سكن ومحبتها من فرط حب ما سكن
وإذا ما انتقلنا إلى الشعراء المعاصرين للشيخ راشد فقد أسلفنا الحديث عن المحقق الخليلي الذي حمل لواء الشعر السلوكي في زمانه ، وكان لهذا الشيخ أبناء نجباء مبرزون بديع شعرهم وهما الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي (توفي : ١٣٢٤ هـ)

١٣٤٥ هـ)، والشاعر محمد بن عيسى الشكيلي (توفي: ١٣٩٥ هـ) الذي انتقل من بهلى إلى الرستاق في آخر حياته .

ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ راشد قد غني في عمان عموماً وفي بلده الرستاق خصوصاً بيئة أدبية هيأت عوامل التأثير والتأثر بين الشعراء فأسالت قرائحهم وصقلت شاعريتهم. (٤)

ج- إطلالة على الخصائص الفنية في شعره :

لا يُراد بهذه الإطلالة قراءة تحليلية بمفهومها النقدي المعروف، وإنما هي مجرد إشارات ولمحات، علّها تشير من بعيد إلى شيء من الخصائص الفنية في شعر الشيخ راشد، وذلك من خلال التوقف عند بعض المحاور المفصلية في شعره. ويتضح مما توفّر من شعر الشيخ راشد أنه شاعر مُقَلّ، فعدد قصائده أربع عشرة قصيدة، مع مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات، ومنظومة من خمسة وعشرين بيتاً جواباً لسؤال فقهي .

ويصنّفه الشيخ الخصيبي في شقائقه من شعراء الطبقة السادسة، مع شعراء آخرين كالشيخ ماجد بن خميس العبري، والشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي وغيرهما، وتصنيفه لشعراء هذه الطبقة كان وفق معايير اعتمدها، يقول في تصنيف هذه الطبقة : " الطبقة السادسة : العلماء والقضاة الموجودون في القرن الرابع عشر من الهجرة والذين قضوا نحبهم في خلاله وهؤلاء قرضوا الشعر في فنون مختلفة من العلم والأدب ولم توجد لهم أراجيز في الأديان والأحكام إلا البعض اليسير :

قالة الشعر من أولي العلم جمّ من هداة وقادة وقضاة
نذكر البعض منهم باختصار ليس من وسعنا على الكلّ نأتي
وأولاء الذين لم يأت عنهم رجز دونوه في صفحات
بل أتى عنهم نظام مفيد في ضروب عديدة مبهمات " (٥)
ونلاحظ أن هذه الطبقة لها ثلاثة معايير ، كالآتي :

١- معيار السمة الشخصية : أ- عالم ب- قاضي.

٢- معيار زمني : أ- موجود في القرن الرابع عشر ب- قضى نحبه فيه.

٣- معيار أدبي : أ- قرض الشعر في فنون مختلفة من العلم والأدب

ب- أراجيز الأديان والأحكام يسيرة.

وهذه المعايير متحققة في الشيخ راشد ، فنون الشعر المختلفة في العلم والأدب
التي تناولها الشيخ راشد نجدها متمثلة في غرض الحكمة التي يتضمنها
الاستنهاض والوعظ والإرشاد ، وشعر السلوك والابتهاال الديني ، وغرض
الوصف ، ولا نظفر له بأرجوزة في الأديان والأحكام إلا تلك المنظومة اليتيمة
التي أشرنا إليها سابقا.

يقول الشيخ الخصيبي متحدثا عنه في هذا المقام :

والأديب العلامة الماجد المشـ هور بالفضل عين كل القضاة
راشد نجل سيف الراشد اللمـ كي أكرم بذا الجليل الصفات

نظمه جاء في فضائل علم وسلوك وحكمة وعظمت (٦)
أما المحاور التي سنتلمس من خلالها الخصائص الفنية في شعره فهي ما يأتي :
١- تأثيره وتأثيره :

من جوانب التأثير والتأثر بأدباء عصره الموضوعات التي طرقها في قصائده ،
فشعراء الرستاق قد تغنوا بقصرى وحلقات العلم فيها، يقول الشيخ ماجد بن
خميس العبري (٧) في ذلك متحدثاً عن الدهر :

كم أتنا بفرحة وسرور حين كان المقام بالرستاق
أين قصرى منّا وأين الشعاب كان فيها الحلول كالأسواق
يذكرون الإله فيها رجال رغبتم عن مجالس الفساق
ويقول الشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي :

ألا حيا الغمام ربوع قصرى فضاحك روضها صباحا وعصرا
وكذلك تغنى بها الشيخ راشد حين تحدث عن مقام كتبه بقصرى في قصيدته التي
مطلعها :

علا شرفا هذا المقام وذكرنا مقاماً بيطنان الفراديس قررا
ونجدهم أحيانا تتفق ألفاظهم في الحديث عن العلم وأهله ، يقول الشيخ ماجد :
عالم للأنام مُفَتِّ وشيخ ورع عامل وحبر نبيل
كم أداروا ما بينهم كأس ذكر من حديث المنقول والمعقول

ويقول الشيخ الهاشمي :

غنيت بأهلها دهرًا طويلا يساقوني كؤوس العلم ترى

ويقول الشيخ راشد:

به جمع من كل حبر وعابد تعاطوا كؤوس الحب كالعسل الخمر

وكذا نجدهم يثنون شكواهم عن حال زمانهم ، وما آلت إليه الأمور، يقول

الشيخ ماجد :

وأبى الدهر أن يرينا وليّا يظهر الدين في الليالي البواقي

فبلينا بغصّة وصغار بين أقوام عزّة وشقاق

هكذا الدهر قبلنا كان يأتي بسرور لهم وبالأعواق

ويقول نور الدين السالمي :

أشكو إلى الله زمانا به في قلب كل مسلم جرح

ترى البراغيث لما أرخت أيدي كرام الأسد قد تمحو (٨)

وفي هذا يقول الشيخ راشد:

رمتني صروف الدهر منها بأسهم فلم يك عنها لي من الله واقية

فقد عصفت ريح الخطوب وهدمت قواعد أركان من الدين راسية

بفقد مصابيح الهدى اعلنكس الدجى وأمواج تيار الردى متواليّة

وإذا ما يممنا نحو غرض الوصف نجد شيخنا ماجدا العبري قد عني به، فقد روى له الشيخ الخصيبي أربع قصائد: واحدة في وصف الربيع، وأخرى في وصف وادي الخور بالحمراء، وقصيدتين في وصف سدره العرقوب التي يجتمع تحتها إخوانه وجماعته، يقول في مدح وادي الخور:

فالروض يضحك من بكاء عيونه والزهر مثل اللؤلؤ المنشور
وترى الغصون تميس مهما مَسَّها لطف النسيم كشادِنِ مَحمُور
تتجاوب الأطيَّار في قاماتِها بالسجع من ورق ومن شحرور
والأرض من أزهارها قد دبجت والجو صاف أزرق البلـور
وكذلك الشيخ راشد قد أدهشه موقف الخصب في بستانه المحيول، وأجاش قريحته؛ فقال مادحا إياه:

وعطرت من نشر الرياحين عَرفه يفوح شذى ما المسك ما طيب النـشـر-
وريجانه إن بالنسيم تمايست تخايلها كالموج في زاخر البـحـر
وأسود غريب بأحداق زهره كأحداق حور قد تجلت من الخـدر
وإن صدحت أطيَّاره بتأوب مزامير داوود على حضرة الذكـر

وقد سبق الحديث عن معايشة الشيخ راشد الشعر السلوكي (٩) في أشد أطواره، وهذا قاده إلى التأثير بشعرائه في مصطلحاتهم الخاصة وأفكارهم وموضوعاتهم،

فتجدهم يتحدثون عن الخمرة الإلهية، وعن الحب الإلهي وما يورثه في الجسم،
وعن العذال وعذهم، وغير ذلك مما هم معنيون به، يقول الشيخ الرئيس جاعد
بن خميس الخروصي في مطلع لاميته السلوكية :

أرى العدل عن لوم العذول هو العدل وقصد الفتى وصل الحبيب هو الدخل
إلى أن يقول - رحمه الله - :

ولو أن نور الحب أورى بقلبه أوار الهوى أمسى وفي جسمه نحل
وخر الهوى لو خامر القلب بالجوى لاردّه بذل ولا صدّه عكل
ولو أنه صبّ شجي من الهوى لما رام غيرا لا ولا مسه كل (١٠)
ويقول المحقق الخليلي :

سقاني بها الخمر صرفا رشا سباني له ناظر أدعج
فيالك من خمرة حلّلت لي السكر إذ لم تكن تمزج
فقلبي من شربها طائش ولكن إلى الشرب مدحرج (١١)
ويقول الشيخ راشد :

أنديم الحب يا من ليس يسلو زفراّت وجده بالروح تغلو
أيها التائق في كأس الهوى فانتلهه فبهذا الليل يحلو
وبه الأجسام صارت للفنا قد براها منه إنحال وعَلُّ

ويقول أيضا :

ولا يصـغـي لـعـنـد
إذا العـنـد الـحـو
إذا مـا الـلـيـل داج
فـمـا النـشـوان يـصـحـو
يـلـذ الـكـأس فـيـه
إذا مـا اـمـتـدَّ جـنـح

وشعر السلوك يقودنا إلى الحديث عن شعر الحكمة لدى الشيخ راشد؛ إذ يظهر أن الشيخ كان مهتما بمطالعة كتب الرقائق وتهذيب الأخلاق؛ فتأثر بها تأثرا واعيا في سلوكه وشعره؛ فقصيدته "ورجل قال لبعض الحكماء" تعكس ذلك، وكذا قصيدته التي مطلعها :

ألا بيد التوفيق نيل الفضائل كما رتب الأعمال حسب القوابل
هي في أساسها نظم للثمان المسائل، التي عدّها حاتم بن عنوان الأصم لأستاذه أبي علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي الزاهد، فقد ذكر العلامة أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) : "عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي - رضي الله عنهما - أنه قال له شقيق : منذ كم صحبتني؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة، قال : فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال : ثمان مسائل، قال شقيق له : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل؟ قال : يا أستاذ لم أتعلم غيرها، وإني لا أحب أن أكذب، فقال : هات هذه الثمان مسائل

حتى أسمعها، قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوباً، فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي.

فقال: أحسنت يا حاتم، فما الثانية؟ فقال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾، فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى، حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه، وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله؛ ليبقى عنده محفوظاً.

الرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها، فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾، فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق، وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضاً، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى، فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق، يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، فرجعت إلى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، فعاديتَه وحده، واجتهدت في أخذ حذري منه؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدولي، فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة؛ فيذل فيها نفسه، ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، فعلمت أني واحد من هذه الدواب، التي على الله رزقها، فاشتغلت بها لله تعالى علي، وتركت مالي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق - هذا على ضيعته وهذا على صحة بدنه - وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فتوكلت على الله عز وجل، فهو حسبي. قال شقيق: يا حاتم، وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان المسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة". (١٢)

المعارضات:

ولا ريب أن المعارضات الشعرية تمثل جانباً من جوانب التأثر الأدبي، ويظهر أن الشيخ العلامة أبابكر أحمد بن النضر - رحمه الله - من أبرز من تأثر الشيخ راشد بشعرهم؛ فقصيدته (سرّ القدر) التي مطلعها:

يَا نَاطِرِي سِرِّ الْقَدَرِ	فِي كُلِّ شَيْءٍ مُعْتَبَرِ
سِرِّ بِهِ قَدْ نَارَتْ	الْأَلْبَابُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ
لَمَحَتْ حَقَائِقُهُ الْبَصَا	ئِرُّ حِينَمَا كَلَّ الْبَصَرُ
فَأَدِلَّةُ الْفُرْقَانِ قَدْ	نَادَى بِهَا آيُ السُّورِ
وَأَدِلَّةُ الْإِسْنَادِ يَنْ	سُرُّ لَفَهَا بَسْطُ الْأَثَرِ
وَأَدِلَّةُ الْبُرْهَانِ نَارَ	مَنَارَهَا ضَوْءُ زَهَرِ

هي معارضة لقصيدة العلامة ابن النضر في (خلق الأفعال والرد على القدرية)، ومطلعها:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ عِلْمِ الْقَدَرِ	وَعَنِ الْحُجَّةِ فِيهِ وَالْأَثَرِ
تَجِدُنِي عِنْدِي فِيهِ جَمَلًا	عَنْ رَسُولِ اللَّهِ نَصَّتْ فِي الْخَبَرِ
فَمَنْ الْقُرْآنَ آيَاتُ إِذَا	تَلَى الْقُرْآنَ لَاحَتْ فِي السُّورِ
وَمَنْ الْإِسْنَادَ قَوْلَ الْمُصْطَفَى	صَفْوَةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ الْبَشَرِ -
إِنْ سَرَّ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ الْقَدَرِ	فَدَعُوا الْإِغْرَاقَ فِيهِ وَالنَّظَرَ (١٣)

وهي قصيدة طويلة بلغت (١٢٧) بيتاً، أما قصيدة الشيخ راشد فقد بلغت مائة بيت، وإن كانت قصيدة الشيخ ابن النضر من البحر الرمل في حين أن قصيدة الشيخ راشد من مجزوء الكامل إلا أنها اتفقتا في رويهما، وهو حرف الراء الساكن، واتفقتا كذلك في المضمون - كما هو شأن المعارضات - وهو الحديث عن خلق الأفعال والرد على القدرية.

وبنظرة عامة نجد مظاهر التأثير بادية، من ذلك التأثير بمطلعها؛ إذ تبدأ بأسلوب النداء (يا ناظري سر القدر)، ومحور الحديث في مطلع القصيدة عن أن مسألة القدر قد جلّت لها الأدلة القرآنية (فأدلة الفرقان)، والأدلة النبوية (وأدلة الإسناد)، وهذا ما استفتح به العلامة ابن النضر قصيدته؛ إذ تبدأ بأسلوب النداء (أيها السائل)، ومحور الحديث في مطلع القصيدة كذلك عن تجلية الأدلة النقلية لمسألة القدر، من أدلة قرآنية (فمن القرآن آيات)، وأدلة من السنة النبوية (ومن الإسناد قول المصطفى).

والعلامة ابن النضر بعد أن يتجاوز هذه المقدمة يدخل في الموضوع مباشرة، بالإشارة إلى أقوال المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - في مسألة القدر، فيقول:

ومن الإسناد قول المصطفى	صفوة الله على كل البشر
إن سرّ الله في الأرض القدر	فدعوا الإغراق فيه والنظر

وليه فيه مقال صادق ناطق بعد مقالات أخر.
 أنت خصمُ الله إذ قلت له كتب الذنب وأصلاني سقر
 فينطلق - رحمه الله - من هذه الأدلة وغيرها في مجادلة خصمه، أما الشيخ راشد
 فيستمر في مقدمته، جاعلا من دلالة تركيب (سرّ القدر) منطلقا تشويقيا للدخول
 في الموضوع، والتدرج فيه، وسيوضح هذا لاحقا.

أما بالنسبة للخاتمة فالعلامة ابن النضر - يشيع في قصائده أن يختتمها بوصف
 قصيدته بجمال سبكها، إلا في القصائد العقدية، فإنه يترك خاتمتها مفتوحة دون أن
 يعتمد على هذه الخاتمة، أما الشيخ راشد فقد ختمها بما هو شائع في أشعار العلامة
 ابن النضر، كما سيوضح ذلك عند الحديث عن (البناء الخارجي لقصيدته).

يضاف إلى ذلك التأثير بلغة العلامة ابن النضر وأسلوبه في قصيدته، من ذلك ما
 سبق ذكره عن مقدمة القصيدة، ومنها قول العلامة ابن النضر:

قال فالله تعالى جدُّه كَوْنُ المِيتَةِ خَلَقًا وَالْقَدَرُ
 وجميع القبح والله الذي خَلَقَ الخَلْقَ بِإِكْمَالِ الصُّورِ
 قلت فالقرْدُ قبيحٌ لوئيه وكذا الكلبُ ذو اللون الوَضِرُ
 وهما لله خلقٌ لم نَقُلْ إِنَّ خَلَقَ اللهُ فِي الكَلْبِ قَدِرُ (١٤)

وفي هذا يقول الشيخ راشد:

إِيَّاكَ تَسْأَلُ : لَمْ فَعَلْ ———
 أَوْ أَنْ تَقُوَّةَ : (لَمْ خَلَقْ ———
 كَالْقِرْدِ وَالْخَنْزِيرِ أَوْ ———
 صَنَعَ الْإِلَهَ جَمِيعَهُ ———
 قُبَحَتْ مَقَالَهُ مُلْحِدٌ : " اللَّهُ خَلَقَ الْقَلْدَرُ "

ومن مظاهر التأثير توظيف تقنيات المناظرة، وبناء النص على أسلوب حوار
 ضمن إطار الجدل والحجاج، فالعلامة ابن النظر يستخدم فواصل لفظية للحوار
 بينه وبين خصمه، أبرزها صيغة (قال - قلت)، التي وردت ما لا يقل من (١٦)
 مرة، ومثل ذلك نجده عند الشيخ راشد.

ومع أن قصيدة العلامة ابن النظر أقوى سبكاً ورصانة، إلا أن الشيخ راشد سعى
 إلى إضفاء الجودة في تناول الموضوع بترك بصمته الدالة على أسلوبه.

وفي مضمار المعارضات أيضاً نجد قصيدة الشيخ راشد التي مطلعها :

طلابي لنيل المجد أسمى المطالبِ ونصري لدين الله أسنى المذهبِ
 تتضمن معارضة ثنائية لشاعرين هما الإمام نور الدين السالمي في بائيته (لشغلي
 بأهل الدهر)، وزهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لا تكلم بحومانة الدراج فالمثلثم (١٥)

والتشابه مع الإمام نور الدين يتضح غالبا في مطلع القصيدة، أما معارضة زهير فكانت في الحكم التي ساقها في أواخر معلقته.

وسنبدا الحديث مع قصيدة نور الدين السالمي التي مطلعها:

لشغلي بأهل الدهر إحدى العجائب وتركبي طلاب العدل إحدى المصائب (١٦)

وليس بين أيدينا دليل واضح على مَنْ تأثر منهما بالآخر؛ لأنها عاشا في عصر واحد، فالإمام نور الدين توفي قبل الشيخ راشد بسنة تقريبا، ثم وإن كان الإمام السالمي تلميذا للشيخ راشد إلا أننا لا نستطيع الجزم بتأثر التلميذ بالأستاذ، فمعلوم أن التلميذ قد فاق أستاذه علما وشعرا.

ومهما كان الأمر فإن التقارب بين القصيدتين ملحوظ، فكلتاها من بحر الطويل ورويتهما الباء المكسورة، كما أن مطلع القصيدتين يتحدث عن الطلاب فهنا طلاب المجد، وهناك طلاب العدل، وإن كان مطلع الشيخ راشد يحمل اعتزازا بطلابه ومطلع الإمام السالمي يحمل عتابا على تركه طلاب العدل فإن ذلك لا يستبعد حصول المعارضة الشعرية بينهما، بل ذلك مما عُهد في المعارضات الشعرية؛ فلا يشترط فيها التطابق.

ومع أن قصيدة الإمام نور الدين قد ضمّنها مدحا لشيخه أمير الشرقية صالح بن علي بن ناصر الحارثي - رحمه الله - إلا أنها شملت حكما ومواعظ في سياق

التركيب الشرطي بالأداة (مَنْ) وتكرر ذلك في قصيدته، وهذا التكرار الشرطي نفسه نجده في قصيدة الشيخ راشد، فمثلا يقول الإمام :

ومن تكن الدنيا له غاية المنى فلا عاش إلا في هوان المصائب
ويقول الشيخ راشد مثلاً :

ومن يخدم الدنيا يصر رقها ومن على عكس ذا أولته كل المطالب
إضافة إلى ذلك نجد تشابها في بعض التراكيب ، يقول الإمام في بيته الثاني :
فصوّبت فكري أي حال يكون لي منارابه أسمو لأعلى المراتب
ويقول الشيخ في بيته الثالث :

وبذلي لروحي في رضى من أحبه هو الشرف السامي بأعلى المراتب
وهذا البيت نفسه يتحدث فيه الشيخ راشد عن طلبه لرضا ربه ، والأمر نفسه نجده عند الإمام في قوله :

وفيه رضى الرحمن ربي فلم أر سوى طلب العليا لتلك المناصب
ويتحدث الإمام عن أن تجشّمه للصعب هو الطريق لنيل مآربه :
فجشّمت نفسي الصعب علما بأن في تجشّمها للصعب درك المآرب
وكذا الشيخ قد تحدّث عن أن تجشّم الأذى هو الطريق لنيل المواهب ، يقول في ذلك :

وصبري لديني إن تجشّمني الأذى هو الفوز في نيلي عظيم المواهب

ويقول الإمام مادحا شيخه الحارثي بهمة السامية التي جاوزت النجوم الثواقب علواً:

ترى شخصه فوق السرير وأنه له هم فوق النجوم الثواقب
ويقول الشيخ:

وإن تسعد الأقدار ذا العجز عرّجت بهماته فوق النجوم الثواقب

ومع أن المعارضة القائمة بين الشيخ راشد والإمام السالمي لها مبرراتها الواضحة كاتفاق الزمان والمكان وظروف العصر المحيطة بهما سياسيا واجتماعيا وثقافيا، والصلة العلمية الرابطة بينهما، إلا أن هناك تساؤلا يساور النفس عن الباعث الذي جعل الشيخ راشد يعارض زهيرا في معلقته: هل هو التشابه في معاشتهما لتقلبات الحياة من اضطراب وقلق واقتتال إلى استقرار وهدوء وأمان؟ فزهير عايش حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان كما شهد الصلح بينهما، ومعلقته تصوّر حياة السلم والحرب، وكذا الشيخ راشد قد شهد في عصره الاضطرابات والقلق، والسلم والحرب في وطنه عمان، ويمكن أن نستأنس لهذا الارتباط النفسي في المعارضة بالمستوى اللغوي (ألفاظ - تراكيب) لمطلع القصيدة الذي يُعدّ بوابة الولوج للنص، ومفاتيح مغاليقه، فإن قوله: (نيل المجد - الفوز - نيلي عظيم

المواهب - الشرف السامي بأعلى المراتب) يعكس جانب السلم والرخاء، وقوله (صبري - تجشمني الأذى - بذلي لروحي) يعكس جانب الشدة والحرب.

وإذا تجاوزنا بواعث المعارضة إلى جوانبها الفنية فإنّ كلتا القصيدتين من بحر الطويل وإن اختلف رويهما، كما نجد زهيرا يكرّر التركيب الشرطي بـ (مَنْ) في سياق حكمه التي أوردها في أواخر معلقته، وكذا الشيخ راشد قد أورد حكمه بتكرار التركيب الشرطي نفسه بعد أن تجاوز مقدمة قصيدته، واستمر يث حكمه إلى نهاية القصيدة؛ لأن القصيدة أنشأها لهذا الغرض، مع ملاحظة أن حكم الشيخ لم تكن ترديدا لما قاله زهير، وإنما صاغ معانيها متوافقة ومشكاة دينه الإسلامي الحنيف.

ونلاحظ كذلك أن الإفادة من زهير كانت بطريقة أفرغت المعاني في قوالب لفظية متصرّف فيها بعض الشيء، وإن وافقتها أحيانا؛ فمن ذلك قول زهير:

ومن يغترّب يحسب عدواً صديقه ومن لم يكرّم نفسه لا يكرّم

ويقول الشيخ:

ومن خادن الأشرار أخزاه شرّهم ومن لم يكرّم نفسه لم يراقب

ويقول زهير في أواخر قصيدته مستهجنا كثرة السؤال:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسأل يوما سيحرم

ويقول الشيخ أيضا في أواخر حكمه:

ومن أكثر التسالُّ مُجَّ ولم ينل من الناس إلا سوء قطع التحابب

ويقول زهير مبينا حال من يُثقل على الناس بأموره ، ويذلّ لهم :

ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الذل يندم

ويقول الشيخ في هذا المعنى :

ومن عاش كلا فالورى يمقتونه وقطع الرجا عنهم جميل المناقب

ويقول زهير في مداراة الناس :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

وفي هذا المعنى يقول الشيخ :

ومن لم يراع حال أهل زمانه يعيش مفردا ما إن له من مقارب

ويقول زهير في عاقبة البخل :

ومن كان ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويندم

وفي ذلك يقول الشيخ :

ومن كان ذا بخل حريصا بباله رمي بالقليل من أقربا وأجانب

ويتحدث زهير عن أنه مَنْ بذل معروفه صان عرضّه، ووفر مكارمه :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يقرّه ومن لا يتق الشتم يشتم

فأفاد الشيخ من هذا المعنى وقال :

ومن لم يصن أعراضه بثرائه تلقى شنيع الثلب من كل جانب

٢- البناء الخارجي لقصيدته :

عند الحديث عن بعض جوانب البناء الخارجي لقصيدة الشيخ راشد فمن نافلة القول أن نذكر أن شاعرنا قد ضرب صفحا عن المقدمة الطللية لقصائده، في الوقت نفسه نجد من الشعراء العمانيين من حافظ على تلك المقدمة كما أسلفنا، فقصائده تبدأ رأسا بموضوعها، مع محافظته على (التصريع) الذي يضيف على مطلع القصيدة طلاوة، ويورث وقعا في النفس؛ إذ ينبئ بروي القصيدة وقايتها قبل تمام البيت الأول، فضلا عن كونه علما مميّزا لمبتدأ القصيدة من منتهاها.

أما نهايات قصائده فبعضها يختمه بنهايات مغلقة بالدعاء والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وبالنظر في حياة الشيخ راشد وثقافته فإن ذلك يعكس البعد الديني لشخصيته أكثر من مجرد مجارة للمألوف في الشعر الإسلامي ، في حين يترك نهايات قصائده الأخرى مفتوحة ، وهذه السمة في بدايات قصائده ونهاياتها ظاهرة في أشعار غيره كالشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي ، والشيخ ماجد بن خميس العبري ، والإمام نور الدين السالمي وغيرهم.

ومن الملاحظ أيضا في هذا الجانب أنه يختم بعض قصائده قبل الدعاء والصلاة بوصف قصيدته بحسن سبكها ورصانة أسلوبها، وذلك توطئة للخروج من موضوع القصيدة إلى خاتمتها باستخدام أسلوب التخلص اللفظي المألوف في

أشعار العرب، كقوله (فخذ حكما) و(خذا كشمس أشرق) و(رصعت ذا الدر) و(فدونك ترصيع)، ويدور وصف القصيدة في هذه الخواتيم بنفائس الحلي كالجواهر والدرر، أو تشبيهها بجمال الحوراء ودلالها وغنجها، أو بالشمس المشرقة، أو ما شابه ذلك، وهذا منهج سلكه الشعراء من قبل، ونجده جليا في خواتيم قصائد العلامة أبي بكر أحمد بن النضر في ديوانه (الدعائم)، من ذلك قوله في خاتمة قصيدة تتحدث عن (صلاة العيدين وغسل الميت وتكفينه والصلاة عليه وصلاة الجمعة):

فخذها كالعروسة مزدهاة	تضوع نشرها حليا وعطرا
تهادى في أكلتها وتكسو	بياض الطرس ليلا مكفهرا
كان سطورها أسماط درّ	يلحن بطرسها خضرا وصفرا
تريح الهم عنك فما تبالي	إذا أنشدتها قرّا وحرّا
حياكة ماهر ونتاج عضّ	تملا حقبه خيرا وشرّا (١٧)

وقوله في خاتمة بائيته في (الرضاع):

خذا كعقد لآلى	أوفى على وضوح اللب
غراء ترفل في البقير	وفي الدّمقس وفي القصب
تلهيك عند سماعها	عن كل لهو أو طرب (١٨)

بين دقائق موضوعها وجزئيات فكرتها بحسن تخلص يجعل موضوعات القصيدة تنساب بأسلوب فني، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن هذه القصيدة.

٣- الصدق الفني (صدق العواطف والمشاعر) :

يتضح الصدق الفني لدى الشاعر من خلال قدرته على التعبير عما يحس به ويستشعره داخل نفسه؛ حتى ولو كان ما قصد إليه أو تصوره أمراً عاماً أو كلياً، ويعدّ الصدق في التعبير عن العواطف والتجارب باعثاً لكثير من الشعراء للرجوع إلى ذواتهم، ومحاولة استكناه ما فيها، كما يمكن عن طريقه تمييز مرحلة من أخرى، وعمل من آخر. (١٩)

والشيخ راشد قد عاش في حقبة تكتنفها الفتن، وتحيط بها الأحداث السياسية، التي كان لها أثرها في جوانب الحياة في المجتمع العماني بأكمله، فهو يصور ما يختلج في نفسه من عواطف وأفكار تجاه تلك الأحداث، ويهمس في أذن سامعه قائلاً :

من الله أرجو دفع ما بي من الكرب	من الإبتلا بالناس في الزمن الصعب
فرمت اعتزالاً نائياً عن بلائهم	فرارا بديني عنهم فارغ القب
إذا حشدوا النادي بجمعي عندهم	وما قبلوا عذري بنأي عن القرب
يريدون نصباً ما له الدهر خافض	فهل عامل للخفض يوضع للنصب؟!

واعتراله هذا عن تلك الأحداث، وبُعده عنها تجعل نفسه تجيش بعواطف النفحة
الإيمانية، والتعلق بحبل الله المتين والاعتصام بعروته الوثقى؛ فهو - جل وعلا -
المرجو في الشدائد، والمستغاث في المحن :

تعلقت بالحبل الذي كل مَنْ به تعلق ينجو صاح من أعظم الخطبِ
فيارب حل بيني وبينهم ولا أرى عصمة منهم بغيرك يا ربي
ولأن الأمل في الله كبير فإن نفس الشيخ مفعمة بالتفاؤل، موقنة بأن الباطل لن
يدوم، ومهما عاند وكابر فإن الغلبة للحق:

لعل الزمان الصعب يكبو جواده بتفريق شمل البغي بالخسف والسلبِ
لعل بروق النصر ينهل من——ها فيبعث أجساماً فتتجى من الصوبِ
ويحيي ربوعاً باد بالدهر إثرها ومن قبل ذا ضاءت بأعلامها النصبِ
وإذا ما انتقلنا إلى تجربة أخرى نجده في عتابه لفلج (المحيول) ضجراً متضايقا بعد
أن محل الفلج، وذبلت الأزهار، وانقطعت الثمار فأصبح كل ما حوله معتماً، يقول
متحدثاً عن الريح وهي تعبث ببستانه :

عليها غمام يحبس الجو ظلمة فما ملجأ إلا هشيم من السدرِ
وإن آن حرّ باشرتنا سمومه كأن بها النيران شبت من الجمرِ
أما حين خصب فلج المحيول، ودبت الحياة في البستان من جديد، وأصبح النسيم
يداعب الرياحين ظهر لنا الشيخ بنفس مبتهجة تغمرها السرور :

وريجانه إن بالنسيم تمايست تخايلها كالموج في زاخر البحر
وقد أينعت أشماره بتلون فذا أحمر قانٍ وذا باسم الزهر
وهكذا تجده في تجاربه الشعرية يسعى إلى الكشف عما يخالج نفسه ويسيطر على
شعوره ، ففي مقام النصيح والإرشاد يتبدى بنفس مشفقة، وقلب حان؛ رغبة في
تهذيب النفوس، واصطلاح الأحوال، وفي مقام الابتهاال ينكشف عن نفس
متدللة لفاطرها، متألمة على حالها، متعطشة لمرضاة ربها، وفي مواطن الحجاج
تستشعر نفسا معتزة بمبدئها، حريصة على إقناع خصمها.

ومع هذا وذاك فإن أصدق تجاربه الشعرية نجدها في شعره السلوكي الذي يعكس
لنا اكتمال التجربة الشعرية ونضجها لديه، يقول وهو في نشوة الحب الإلهي :

فـيـا ربي أذقني شـمـولاً فيها سُنْحُ
أدر كـأسي دهاقـا لعلِّي لست أصـحو
ولا أصـبر لحـال لـدَّله السـكر يمـحو
ونجد عاطفته الجياشة تصور عمق تجربته السلوكية في الغرام الإلهي ؛ فيصف
(كأس الهوى) وما يلاقيه فيه من عذاب يؤجج مشاعره، ويزيد من توقه لوصل
حبيبه، حيث يقول :

وبه نـار الغرام أججت في الحشاما الحب إن جربت سهـلُ
لو تكن نار العذاب لخبـت والهوى نار به ما عنـه تخلو

لو ترى التعذيب فيه قلت آه واحببي في الهوى أرداه قتل
مهجتي ذوبي عليه أسفا واعذليه علّه يجديه عذل

٤- النزعة الذاتية :

والشاعر في نزعته الذاتية تجده يلتفت إلى وجدانه، ويرقب عالمه المتغير، ثم يقف موقفا خاصا من الحياة والطبيعة والمجتمع ، يكشف فيها ذاته يتأثر بمن حوله ويؤثر فيه ، ومع أن هذه المواقف - في حد ذاتها - تعبير عن حياة المجتمع إلا أنها تتلون بالشعور الخاص عند الشاعر، وهو بهذا الشعور الخاص يصور لنا نتاج عمله.(٢٠)

وقد رأينا فيما سبق نظرة الشيخ إلى الحياة بعد أن تأمل في مجرياتها السياسية، وما صاحبها من فتن؛ فكانت له نظراته الخاصة ، تلكم النظرة التي تكشف عن بعد مواطن الفتن والالتجاء بالله رغبة في أن يمن على عباده باستقرار الأمور ، يقول الشيخ :

صمدت لذي النعما ليكشف ما بيه ويسلب عني هول ما قد رزانيه
رمتني صروف الدهر منها بأسهم فلم يك عنها لي من الله واقية
وهول ما قد أصاب شاعرنا هو :
فقد عصفت ريح الخطوب وهدمت قواعد أركان من الدين راسية

وما شجرة الإيمان إلا كأنها هشيم على أرض من الجذب بالية
وما شرعة الإسلام إلا كأنها هياكل أجسام من الروح خالية
لكن هذه النظرة للأمور مخوفة بالرجاء :

فسحى علينا هاتن المزن رحمة بسائحها ينزاح بارج غاشية
إلهي اهدنا نهج الرشاد بعصمة تقينا غواشي البغي من كل طاغية
ويرى شاعرنا أن الحياة تسقي المرء مرها إن لم يكن ذا خبرة بأحوالها ودراية
بشؤونها :

ومن لم يكن في دهره عالمابه سقته يد الأيام مرّ المشارب
كما أن الركون إلى الحياة الدنيا والانشغال الزائد بها لا ينال المرء منه إلا النصب :
ومن يخدم الدنيا يصر رقها ومن على عكس ذا أولته كل المطالب
فما دام هذا حال الحياة فلا بد للمرء من ذخيرة يتقي بها شراك الحياة ومنغصاتها ،
ومن تلك الذخائر صاحب تقي عالم يتزود منه ويأنس به ، ومال يعز به نفسه :

ومن لم يصاحب غير حبر وذوي اصطفا فيمضي عليه الدهر من غير صاحب
ومن لا له مال يعيش في مهانة بلا فقره يسقيه كأس المتاعب
ومع أن هذه الحياة مجرد قنطرة عبور إلا أن سرورها منغص بكدر :

ومن يأمل الدنيا مقرا كمن رجا على الموج يبني من مصانع سامية
فمن سر يوما ساء الدهر برهة فكيف وما تلك المسرات وافية ؟

ونجده ينسجم مع الطبيعة فهي مبعث للبهجة والسرور:

وإن هبت النسا يفوح بنفسج وورد وآس والرياحين ذو الزهرِ
وأسود غريب بأحداق زهره كأحداق حور قد تجلت من الخدرِ
وأحيانا تظهر له بوجه مكفهر :

إذا آن وقت من ثمار تلونت خسائر يمسي كفنا منك ذا صفرِ
إذا ما شتاء آن هبت زعازع الرياح كما هبت لعاد أولي الكفرِ
عليها غمام يحبس الجو ظلمة فما ملجأ إلا هشيم من الصدرِ
والطبيعة بمفرداتها حاضرة في قصائد الشيخ من نجوم ، وجبال (شُم ، قُلْل) ،
وطيور (أطيّار ، وُزُق ، عنقاء) ، وثمار بأنواعها ، وشذى روائح الأزهار ، وبحار
وأعواج وعواصف ومزن ، وكواكب ونجوم وضياء وبدر ونور ، وشمس وليل
ونهار ، وأرض وسماء ، وفلك وماء ويم ، يقول الشيخ :

فمن نورها شمس الهداية أشرقت ومن مزنها ودق الحيا المتهاطل
ويقول :

وما شجرة الإيمان إلا كأنها هشيم على أرض من الجذب بالية
وما شيم الأحرار إلا كمزنة على الجو هبتها عواصف عاتية

أما المجتمع بأفراده ومكوناته فلا ريب أن الشيخ - وهو مصلح اجتماعي - ذو ارتباط وثيق به ، متابع لأحداثه ، وراصد لمجرياته ، ومعبر عن رأيه فيها ، فما قوله مثلا :

يريدون نصبا ما له الدهر خافض فهل عامل للخفض يوضع للنصب؟!
إلا تعبير واضح عن أمور يستنكرها بعد متابعتها والتدقيق في مجرياتها، وما قوله أيضا:

لعل شمس العلم يشرق نورها فيجلي بهيم الجهل في زمن رحب
لعل جنان الفضل يخضر روضها فتجني بدوح الكرم من ثمر الحب
إلا استشراف لمستقبل مجتمعه، ورغبة صريحة في تبدل الأحوال إلى ما هو خير ونماء.

وداخل هذه النظرة العامة للمجتمع نجد نظرة أخرى تتسم بالخصوصية ، فشاعرنا شغوف بصحبة أقرانه من ذوي العلم، نجد ذلك في أكثر من موضع في شعره تصرّحا أو تلميحاً، بل إنه يُعزّي نفسه بهم وقت الضيق، فحين عاتب فلج المحيول بعد أن محل فضيق له صدره ، وجزى الوصل بالهجر، قال متحدثا عن مسجد المحيول في خاتمة قصيدته :

يواصلني فيه أخو العلم والحجا وأربح شيء لي مواصلة الحبر

السلوكي (ككأس له طفح - علّ مساغه - نشوته صحو) ، وهذا يؤكد سيطرة

النزعة السلوكية على الحسّ الشعري للشيخ ، فهو في قصيدته السلوكية يقول :

وفيهـا حـان صـهـبا به الكاسات طفحُ

ويقول في موضع آخر :

إذا ما اللـيل داج فما النـشـوان يصـحو

ويقول أيضا :

وبه الأجسام صارت للفنا قد براها منه إنـهـال وعـلّ

ويقول :

مـديـم النـهـل عـلا بيـذل الـروح سـمـحُ

هذا فضلا عما ألمح إليه في البيت الأول من جوابه النظمي من إشارات تضاف إلى

ما أوردناه عن البيت الثاني؛ فـ(الترياق) في أحد معانيه هو اسم من أسماء الخمر

عند العرب ، وقد ورد في البيت مسندا إلى الحلاوة ، والخمرة الإلهية لها مكانة في

الحقل السلوكي ، والشيخ قد تحدث عنها كثيرا في شعره السلوكي ، وقرنها

بالحلاوة أيضا أو ما أشبه ذلك كاللذة والذوق ، من ذلك قوله :

أيـها التـائق في كـأس الـهوى فانتـهـله فبهـذا الـليل يـحـلو

ومنها قوله :

فـيـا ربـي أذقـني شـمـولا فـيـهـا سُـنـحُ

وإذا ما تجاوزنا الجواب النظمي إلى قصائد أخرى غير سلوكية نجد فيها أيضا حضورا للحقل السلوكي، كقوله في قصيدته التي وصف فيها (مقام كتبه وخزانة أسفاره):

وبهجته تحيي القلوب كأنها يعللها ساقٍ رحيقا وكوثرها
وقوله في قصيدته التي مدح بها فلج المحيول :

به مجمع من كل حبر وعابد تعاطوا كؤؤس الحب كالعسل الخمر
فمنهم على شرع يهذب أنفسا ومنهم على نخوٍ وفي عيشه السكر
ويقول في قصيدته التي يذم فيها من استبدل المنام باليقظة :

مراقبا في الله ما دق وجل أساغ كأس الحب صرفا بالعلل
واختياره أيضا (دوح الكرم) دون غيره من الشجر مقرونا بثمر الحب في قوله :
لعل جنان الفضل يخضر روضها فتجني بدوح الكرم من ثمر الحب

٥- طول النفس الشعري في أدب المناظرة :

ومع أن شاعرنا مقل في شعره إلا أنه يتمتع بطول نفس شعري ، يتبدى لنا ذلك في مطولته (سر القدر) التي بلغت مائة بيت، "وترجع أهمية المطولات إلى أنها تشتمل على تجارب مكتملة عمل فيها الفكر والشعور عملهما" (٢١)، وتتسم هذه المطولة بأنها تتمركز في فكرة (سر القدر)، وبهذا التمرکز تكون القصيدة على

طولها وحدة واحدة منسجمة في مبنائها ومعناها، وقد كان تقصي جوانب تلك لفكرة المركزية، وتتبع جزئياتها وأبعادها سببا في امتداد نفس الشاعر، كل ذلك بمزيج من الجدل الفكري العقدي الذي نسجه في أسلوب حوار ثنائي (إن قال - قلنا)، ومن شعور عاطفي متنوع يوزعه في أطراف قصيده حسب الدفقة الشعورية التي يولدها ذلكم الجدل الفكري؛ فتارة إثارة وتشويق، وتارة اندهاش وانبهار، وتارة رهبة مرعبة تتلوها رغبة جامحة، وأخيرا نشوة إعجاب وافتخار.

فالشاعر يزيج الستار عن قصيدته في مشهدها الأول (١-١٠) بأسلوب فيه إثارة وتشويق للمتلقي، يبدأها بتكرار كلمة (سرّ) في البيتين (١-٢) وهذه الكلمة لها أبعادها الدالة على الكتمان والتخفي والتعمية والضبابية التي تثير فضول المتلقي ونهمه لفصّ ختام هذا السر، والأغرب من أمر هذا السر أن الأدلة (القرآنية والنبوية والعقلية) قد جلّته للعيان، معبرا عن ذلك بألفاظ وتراكيب مغايرة لدلالة الكتمان والتخفي مثل: (نادى- ينشر لفها - بسط الأثر - نار - منارها ضوء زهر)، وهذه المغايرة قصدها الشاعر لمزيد إثارة وتشويق.

ثم ينقل قارئه إلى عنصر تشويقي آخر في أبياته (٧-١٠) ترشده إلى السبيل الذي سيزيح عنه (غشاوة مدّهم)، ويخلصه من ظلمة ليله الدامس، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن يركب (فلك النجاة)، فلا نجاة من تلك الغشاوة إلا بمن عبر على (فلك

(النجاة) ليحربه الشاعر - وهو الربان الماهر - في رحلة فكرية عميقة وموغلّة في (متلاطحات بحور سرّ قد زخر)، ومن نافلة القول أن تناصّ القصص القرآني واضح في هذا الأسلوب التشويقي فهو يذكّرنا بفلك نبي الله نوح - عليه السلام - التي كانت سبيل نجاة المؤمنين من الغرق في الطوفان .

ثم يبدأ المشهد الثاني وهو بداية الرحلة الفكرية، فيستهله الشاعر بقوله " فانظر عجائب خلقنا " على نسق الأسلوب القرآني في دعوته إلى التأمل ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وهذا المشهد المتمثل في الآيات (١١ - ٢٦) يكتنفه انبهار واندهاش ناتج عن عمق تأمل في بديع صنع الله : من تنوع حواس الإنسان، وتدرّج في خلقه من (نطفة مقذوفة فيما استقر)، ثم تدرّج الخلقة إلى أن يخرج الجنين من قرار مكين :

فأفتر من أكمامه أفـ _____ تراار أكمام الشـجر
فأنهل طفلا مستهـ _____ لا مستو خلقا بشر

ثم مما يبهر الشاعر في خلقة البشر اختلاف طبائعهم ، ومساعيهم وتوجهاتهم ، وفي نهاية هذا المشهد ينبهر الشاعر من تركيب العقل البشري الذي خلقه الله في طبيعة تستحسن الخير وتستقبح الشر، ولكن رغم هذه العقول المميزة إلا أن همم النفوس تتخرب حين تمر بمواقف الابتلاء، وقد جعل الشاعر الانبهار بالعقول، ثم ما يؤول إليه بعضهما من انتكاس نهاية لهذا المشهد؛ ليخلص منه للانتقال إلى

المشهد الثالث، المتضمن الجدل الفكري؛ إشارة منه إلى الانتكاس العقلي الذي أصاب مجادلَه؛ فأصبح يستحسن الشر ويستقبح الخير، هذا فضلا عن الرباط اللفظي بين المشهدين بكلمة (البواعث) .

وحين نصل إلى المشهد الثالث الأبيات (٢٧-٦٩) نجد الشاعر قد ألقى عصا الترحال، ووصل بنا إلى بيت القصيد، إنه الحوار الثنائي والمناظرة الفكرية .

وموضوع المناظرة متعلق بجوانب عقدية كآراء الجبرية ومسائل القدر وخلق أفعال العباد، ولا يعنينا هنا مضمون تلك المسائل وتفاصيلها، وإنما نريد أن نلتفت إلى شيء من أدب المناظرة الشعرية في القصيدة، فقد تجلّى بوضوح أسلوب إدارة الحوار بين الطرفين بفواصل لفظية أهمها (إن قلت - قلت) و(إن قال - قلنا)، والصيغة الأولى ذكرت مرتين فقط في البيتين (٢٧ و ٨٣) في بداية الحوار ونهايته، فكانت مفتاح الحوار وقفله، والصيغة قائمة بين طرفين (مخاطب مفرد - متكلم مفرد) وكان الشاعر بهذه الصيغة ينقل المتلقي إلى قاعة المناظرة كاملة في مبتدأ الأمر ونهايته، ويجعله في جوها، وهي في أساسها بين طرفين مفردين (مخاطب - متكلم) كما هو معهود.

أما الصيغة الثانية (إن قال - قلنا) في الأبيات (٤٥ - ٦٢) فهي الصيغة الغالبة حيث تكررت ست مرات، لكنها وردت أول مرة بعد غياب ضمير المخاطب في تسع أبيات متتالية، وهذا الفاصل كفيل بتهيئة المتلقي لاستقبال صيغة أخرى

إشارة إلى انتقال الخصم من مرحلة العناد والمكابرة إلى مرحلة الحيرة والتشكك ؛ ليكون ذلك طريقا يقوده إلى نهاية المطاف وهو الاقتناع والتسليم .

ومن أهم الأساليب التي اتكأ عليها الشيخ في تقديم حججه لخصمه أسلوب الاستفهام في بعض أغراضه البلاغية، فتارة بغرض النفي كقوله :

إن قال : شيء قلت : هل شيء بلا خلق ظهر؟

أو قال : لا ، قلنا : فما لا شيء هل في الملك قر؟

وتارة بغرض التقرير :

أفلم يلج مهوى الشقا منافريق في سقر

وهذا الأسلوب من الأساليب البليغة في أدب المناظرة ، تجعل الخصم في حيرة واضطراب ، وهي من الأساليب القرآنية البارزة في مواقف الجدل والحجاج ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ .

أما المشهد الأخير من القصيدة الأبيات (٩١ - ١٠٠) فتخلله عاطفة إعجاب وافتخار بحسن القصيدة، هذه العاطفة محفوفة في أولها بتضرع إلى الله بالرحمة وحمده وشكره، وفي آخرها بالصلاة على النبي وآله ومن تبعه، وهي خاتمة القصيدة التي أرادها الشيخ أن تكون خاتمة مغلقة، تتلاءم مع جو المناظرة التي

ارتفعت جلستها بإلزام الخصم الحجة وانتهاء الأمر، فلا مجال بعد ذلك للمهارة والنكوث .

وهكذا رأينا هذه القصيدة المطولة التي عكست طول نفس الشاعر، وقدرته على تقصي موضوعها في نسيج واحد، أجاد حسن الدخول فيه والخروج منه، والانتقال بين جزئياته بحركة انسيابية، مع التنوع العاطفي الموزع بطريقة أكسبت القصيدة رونقا يتلاءم مع أدب المناظرة، إضافة إلى حسن إدارة تلك المناظرة، وتكثيف الأساليب، ونبض العواطف الملائمة لها .

٦- الأسلوب واللفظ :

من أهم سمات الألفاظ التي ينتقيها الشاعر أن تكون معبرة أحسن تعبير عن مشاعره وأحاسيسه، مناسبة في أداء المعنى المراد وفي إيجاءاتها، وأن تكون متناسقة مع الغرض الذي سيقته له؛ فتكون عذبة سهلة في مواطن الغزل وما شابهه كالشعر السلوكي في مقام المحبة الإلهية، وتكون جيزة فخمة في مواطن الحماسة وما شابهها .

وهذا ما نلاحظه عند الشيخ راشد؛ ففي مواطن عدة من شعره يعنى بتكثيف الألفاظ والأساليب الملائمة للغرض الشعري وموضوع قصيدته؛ فمقام العتاب - مثلا - تظهر فيه ألفاظ اللوم التي تكاد تكون تقريبا وتوبيخا لشدة التأثير بالموقف، وهذا ما نجده في عتابه لفلج المحيول حين محل، يقول الشيخ :

عليها غمام يحبس الجو ظلمة فما ملجأ إلا هشيم من السدر
 وإن آن حرّ باشرتنا سمومه كأن بها النيران شبت من الجمر
 ففي البيت الأول يورد الألفاظ (غمام - يحبس - الجو - هشيم)، والبيت الثاني
 تتكشف فيه خمس ألفاظ متوالية من حقل دلالي واحد وهو السخونة أو الحرارة
 (حر - سموم - النيران - شب - الجمر) مستعينا في ذلك بأسلوب التشبيه، كل
 ذلك يعكس شدة التأثر بالموقف.

أما في مقام مدحه لفلج المحويل بعد أن خصب تتجلى رقة الألفاظ وعذوبتها
 كاشفة عن بهجة الشاعر:

وأسود غريب بأحداق زهره كأحداق حور قد تجلت من الخدر
 فذا ينعش الأرواح من طيب نشره وذا يبعث الأفراح إن فاح بالعطر
 وكذا نجده في خاتمة قصيدته التي نظم فيها المسائل الثمان، إذ يقول مادحا إياها:
 فمن نورها شمس الهداية أشرقت ومن مزنها ودق الحيا المتهاطل
 كأن علوم الوحي تنشر طيها بما ضمنت من علوم الأوائل
 والحال نفسه في خاتمة قصيدته (سر القدر) وهو يمدح قصيدته في نشوة افتخار
 بإبداعها:

خذها كشمس أشرقت تهدي الهدى فيما شجر
 أو أنها حوراء تر فل بالخبر من الخبر

وبغنجها تاهت دلاً لاً زانها نور زهـــــــــــــــــر
ولشأنها نظمت جــــــــــــــــوا هر ما الجواهر والــــــــــــــــدرز
أما في مطلع هذه القصيدة نفسها في قوله :

فجلت غشاوة مدلهم غطى جهالة ما استتر
وتكشفت ستر الخفيـــــــــــــــــا اــــــــــــــــات المحجبة الغرر
وتوجت متــــــــــــــــلاطما ت بحور سر قد زخر

فيكشف الشاعر ألفاظا تتلاءم مع عنصر التشويق والإثارة لمعرفة (سر القدر)؛
فينتقي منها ما يناسب دلالة (السر) ويتصل بحقل التخفي والتعمية، وحسبنا أنه
في بيته الأول يوالي خمس كلمات في نسق واحد (غشاوة - مدلهم - غطى -
جهالة - استتر) وكذا في البيت الثاني (ستر - الخفيات - المحجبة)، فكل هذه
الألفاظ بتواليها وانتمائها إلى دلالة واحدة تلهب عاطفة المشاهد، وتخدم فكرته،
هذا فضلا عن الأساليب التركيبية التي تخدم الموقف كنعته (الخفيات) بالغرر،
وإضافته (ستر الخفيات) و(بحور سر)، ونعت السرب (قد زخر)، وكذا
استخدام لفظة (بحور) في هذا السياق تعكس ما للبحر من دلالة على المجهول
(فيما وراءه) والمكنون (في قاعه)، فكيف وقد جاءت اللفظة بصيغة الجمع
(بحور)؟!

إلهي وسعت الكون علما ورحمة تسبحك الأكوان فالكل خاضع
إلهي عبّيد قام يدعوك ضارعا أسير ذنوب من عقابك جازع
إلهي تقبّل توبتي وامسحْ حوبتي فإني منيب تائب لك راجع

فلنحظ ألفاظه المعبرة (خاضع - ضارعا - جازع - راجع... إلخ)، وأساليبه مثل تكرار نداء ربّه، وملاءمة تصغير لفظة (عبّيد)، والمجاز في قوله (أسير ذنوب)، والإلحاح في الطلب كتوالي الجمل الدالة عليه : (تقبّل توبتي) و(امسحْ حوبتي)، مع ما أحدثه هذا التوالي من إيقاع داخلي زانه طلاوة (الجناس)، وكذلك الإلحاح في الطلب بتوالي المفردات الدالة عليه في سياق شطر واحد (منيب - تائب - راجع) مع ما يحفّ هذه الألفاظ من دلالة تأكيد الإنابة والتوبة بـ(إنّ)، ودلالة قصر الرجوع إلى الله وحده بتقديم شبه الجملة (لك)، إضافة إلى العناية التامة بحضور ضمير المتكلم المفرد في كل أبيات القصيدة مثل (إلهي - توبتي - حوبتي - فإني) وخطابه لربّه - جلّ وعلا - مثل (وسعت - لك) (يوحى بجمل روحانيّ يناجي فيه ربّه في خلوته.

وفي نمط آخر من شعره السلوكي نجد القصيدة زاخرة بألفاظ تجعل المتلقي يعيش أجواء روحانية ؛ بما تنفثه فيه من نفحات إيمانية وإيحاءات صوفية ، تتخطى في كثير من الأحيان دلالاتها المعجمية إلى دلالاتها الاصطلاحية السلوكية ، وتتجاوز إيحاءاتها المألوف في الساحة الأدبية إلى إيحاءات صوفية خاصة ؛ فليس الحديث عن العشق والغرام في شعر شيخنا كالحديث عنه في عذريات جميل بثينة أو مجنون عمر بن أبي ربيعة ، وليس الحديث عن الخمر ونشوتها هنا كالحديث عنها في خمريات أبي نواس .

ومع أننا لم نظفر للشيخ من هذا النمط السلوكي إلا بقصيدتين - إحداها من أربعة وثلاثين بيتا والأخرى من أربعة وعشرين بيتا - لكنها كشفتنا عن قدرته المعجمية والاصطلاحية في مجال الشعر السلوكي ، وليس أدل على ذلك من ورود الاشتقاقات والمترادفات التي يوظفها الشاعر في سياقاتها السلوكية ، فمادة (حب) مثلا ترد على (حبّ - محبوب - أحباب - حبيب) ، والاشتقاق الواحد منها أحيانا يتكرر في النص الواحد في أكثر من موضع ، كذلك في مرادفات (الحبّ) ومراتبه ودرجاته نجد : الهوى والغرام والشوق والعشق والجوى والهيام (هام) والوجد والولّه والصبابة (يصب) ، وكذلك الخمر يتحدث عنها بأسمائها : الخمر والصهباء والشمول ، أو بما يدلّ عليها أحيانا كـ : كأس وكاسات وكؤوس وكّرم ونشوة ونشوان وندامى ونهل وعلّ ، ومن الواضح أن هذه

الألفاظ المعجمية منها والاصطلاحية متسمة بالركة والعذوبة ؛ ليتلاءم ذلك مع مقام التودد للمحبيب - جلّ وعلا - والتذلل بين يديه ، وإدامة قرع أبواب رجائه لنيل رحمته .

٧- الصورة الشعرية ؛

يعد الخيال آلة الشاعر التي ينسج بها أفكاره، ويعرض من خلالها مشاعره؛ ليختزل بواسطته لغته ويوسع قاعدة معانيه، وتعدّ الطبيعة وما فيها وما حولها مادة الأديب التي يستقي منها خياله المصور .

وهذا ما نجده في شعر الشيخ راشد؛ فالطبيعة حاضرة المعالم في صوره الشعرية ، من ذلك مثلاً صورة الطلعة البهيّة للمولود وقت ولادته أشبه بصورة تفتح زهر الشجر من أكمامه، وذلك مشعر بالبهجة ومؤذن بالنماء :

ثم إذا الروح انتشلت صار جنينا مضطمر
فافر من أكمامه افر اترار أكمام الشجر

وفي استشرافه لزمن يسود فيه العدل وينتشر فيه العلم وينعم فيه الناس بالوئام يصوره بجنان مورقة بهيّة رياضها، يانعة ثمارها :

لعل جنان الفضل يخضرّ روضها فتجني بدوح الكرم من ثمر الحبّ

ويوظف الطبيعة كذلك في شعره السلوكي؛ ففي نشوة اشتياق الخلوة لمناجاة ربه والعيش في أجواء روحانية تغمر القلب بالسعادة الإيمانية هذه الصورة أشبه بصورة روضة بديعة سلبت اللب بحسن منظرها وعبق عيرها ونوح حمامها:

رياض الشوق فاحت	عبراً فيه رشح
وفيها الورق ناحت	وبالهزجات صدح
يجابها شجبي	له ولكه ونوح
وفيها هب روح	له نشر ونفح
وفيها بحر عشق	لكل فيه سبح

أما في مقام المدح فيشبه قصيدته (سر القدر) في حسن سبكها وجمال معانيها بحوراء ترفل بثوبها وتتميل دلالة بحسن قوامها وناصع بياضها:

أو أنها حوراء تـ ر فل بالخير من الخبر
وبغنجها تاهت دلا لا زانها نور زهر

وفي وصفه مقام كتبه يشبه الرسوم المنسقة التي تحيط بقبابه بسوار من اليواقيت بمعصم غيداء:

عليه رسوم نمقت بقبابه كمعصم غيد باليواقيت سورا

وفي بستانه المحيول وقت خصبه يصور أحداق زهره حين تتفتح ناشرة عبق طيبها
المنعش للأرواح بصورة أحداق الحور حين تتبدى من خدرها والعطر يفوح منها
باعثة الأفراح :

وأسود غريب بأحداق زهره كأحداق حور قد تجلت من الخدر
فذا ينعش الأرواح من طيب نشره وذا يبعث الأفراح إن فاح بالعطر
ومن الأساليب الفنية التي يستخدمها الشاعر في تعبيره تجسيم المعاني المجردة ،
كقوله في الحديث عن المؤمن الذي فاز برحمة الله :

فنجـا وفـاز برحمة ما شابهـا شوك الكدر
فجسد معنى الكدر في تعكيره الصفو بالشوك في إيلام وخزته، وهكذا في المعاني
الأخرى التي عني بتجسيدها وتشخيصها؛ تجلية للمعنى وإضفاء لجمال التعبير
مثل (سيوف الحب - كأس الحب - جنان الفضل - بروق النصر - رياض الشوق
- نار الغرام - نشوة المفهوم)، وقريب من ذلك تجسيده لفلج المحيول فيجعل منه
إنسانا يناديه ويخاطبه في قصيدته، فمرة يعاتبه ويلومه وقد ضيق صدره وهجر
وصله، ومرة يسبغ عليه ثناءه ويلبسه حلل مدائح، ويدعو له كصديق ألم به بعد
طول فراق، وترد بعض صور الخيال عند الشاعر مما هو مألوف في الشعر العربي
يقول كناية عن العلو والرفعة :

ومن لم يكن ذا همة تحرق السما لدرك العلا يبلى بخطب النوائب

ومن رفض الحزم المنيع ولم ولو تناشبه أمر القضا بالمخالِبِ
وهو من قول الشاعر :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفت كل تميّة لا تنفع

٨- الإيقاع؛

سبق الحديث عن عناية الشيخ بانتقاء ألفاظ تصور المعنى؛ وتؤثر في نفس المتلقي بإيقاعها الداخلي؛ والإيقاع الداخلي لا يحصل إلا حين يتوفّر انسجام بين عناصر التركيب من دلالة معجمية للكلمة ودلالة سياقية، وجُرس حروفها، وموقعها التركيبي، مع ما يصحب ذلك من تكثيف معنوي أو لفظي في السياق بطريقة فنية، ومواءمة ذلك للفكرة الجزئية والكلية، كل ذلك يُوجد إيقاعاً داخلياً يجعل المتلقي يعيش مع الشاعر مشاعره وأحاسيسه، وتعبير آخر يستطيع أن ينقل المتلقي إلى تلك الأجواء التي يتحدث عنها .

وقد أثّرنا هذا الأمر سابقاً واتضح لنا مقدرة شاعرنا بهذه الأدوات الفنية على تصوير مشاعره، وتأثيره على المتلقي، كما مثلنا على ذلك في حديثه عن فلج المحيول معاتباً أو مادحاً، وكذا في قصيدتيه السلوكيتين وقصيدته (سر القدر) .

وعَوْد على بدأ سنسلط الضوء هنا على أبيات من قصيدة (سر القدر) عند قوله :

نصبت معالم للسلوك لـنـهـج سـبـل بالخير

إلى قوله :

فنجنا وفاز برحمته ما شأها شوكة الكدر
فقد اتضح سابقا أن الشاعر في مناظرته الأدبية قد لجأ إلى أسلوب الترهيب ثم
الترغيب لكونهما أحد الأساليب النفسية التي يسعى من خلالها إلى إقناع خصمه
وإقامة الحجة عليه، وقد جاءت هذه الأبيات في المرحلة قبل الأخيرة كما بينا
سابقا.

وأول ما يلفت الانتباه هنا تقديم الترهيب على الترغيب ، ثم إن الترهيب قد جاء في سبعة أبيات - إن اعتبرنا البيتين الأولين مقدمة وتهيئة لتقسيم الأمر إلى ترغيب وترهيب - أما أبيات الترغيب فلم تتجاوز الأربعة أبيات، وهذا أنسب لجو المناظرة ؛ لأن الخصم بمكابرته الحق وانحراف تصوره - كما يتضح سابقا من القصيدة - لا ينتبه حينها لخطورة مصيره الذي سيؤول إليه إن لم يقتنع ، فكان العناية بزجره بالترهيب أوقع أثرا من العناية بإغرائه بالترغيب.

وإذا ركّزنا على أبيات الترهيب نلاحظ أن الشاعر قد انتقى كلمات أحدثت إيقاعا داخليا ، ففي قوله :

وتناهيته يد السوائق
ألفته في قعر سحيق

كاهشيم المحتظّر
لأنجاة ولا وزر

نلاحظ المد في الفعل (تناهب) يوحى بشدة الانقضا ض وقسوته ، إضافة إلى المدلول المعجمي للكلمة الذي يوحى بهجوم مباغت على حين غفلة من العاصي ، فالتناغم بين المستويين الصوتي والمعجمي في الكلمة أوجد إيقاعا داخليا ، كما نلاحظ أفراد كلمة (يد) مع جمع (السوائق) للدلالة على أن الهجوم منهم كان في لحظة واحدة ، وكأنه سلب بيد واحدة ، وهذا أوقع إيلا ما ؛ إذ لم يتفرق زمن انقضا ض السوائق سائقا بعد آخر .

كذلك مد الياء في كلمة (سحق) يتناسب مع الدلالة على عمق القعر ، ومن الملفت للانتباه أيضا تكرار حرف القاف ثلاث مرات في هذا الشطر ، والقاف صوت انفجاري ، وذلك يتلاءم مع شدة الموقف وصعوبته .
وفي قوله :

فله المهـاد لحينه نار تـأجـج تستعر
ومكبكب في حاجم كالقـصر ترمي بالشرر
الجيم صوت انفجاري أيضا ، وقد توالى في الفعل (تأجج) مع ملاحظة شدة النطق به مضعفا ، كل ذلك يوحى بشدة اضطرام النار ، وكأن مقطع توالي صوت الجيم انفجاريا يوحى بصوت ذلك الاضطرام .

كما نلاحظ اختيار اسم المفعول (مُكَبَّكَب) يوحى التكرار المتوالي لصوتي الكاف والباء (كب - كب) بتوالي وقوع الفعل وكثرته .

والدلالة الصوتية للقف والجيم في مقام الترهيب في القصيدة تختلف عن ملائمة تكرار حرف الشين في مقام الترغيب بعد انتقال الحديث إليه في قوله :
 فنجـا وفـاز برحمـة ما شاها شو كـ الكـدر
 والشين صوت مهموس رخو، وهو حرف التفشي، وتكراره في البيت موح بالهدوء والارتخاء وانتشار الرحمة .

وكذا ملائمة تكرار حرف السين أربع مرات في بيت واحد في قصيدة العتاب لمن استبدل المنام باليقظة في قوله :

من ألف النوم تردى بالكسل فكم به مستبسل من قد بسل
 والسين صوت مهموس رخو من حروف الصغير ، لاءم الحديث عن ألف النوم والإيناس به ، فكأن الشاعر بهذا البيت يهمس في أذن سامعه فلا يسمع منه إلا صغير صوت السين ، فالمستوى الصوتي هنا يعكس أجواء من ألف النوم .

وإذا انتقلنا إلى (الترصيع) - وهو في الاصطلاح البلاغي : توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها وهو على هيئة السجع أو ما يشبهه - فلا يخفى ما له من دور في التقسيم الإيقاعي، وتساوي النغمات في نطاق البيت الشعري، ونجد على ذلك أمثلة في شعر الشيخ ، ففي قصيدته التي نظمها في (نعوت الأخلاق المرضية) ضمنها نصائح للحث على التخلق بالشئائل الحسنة ، كقوله :

صدوق اللسان ، قليل الكلام قليل الفضول بقبح الهزل

وقوله :

وبرارفيقا، عفيفا شفيقا حلما رضيا بما قد نزل
فلاحظ أن تفعيلات الشطر الأول في البيتين تتوزع في قسمين منتظمين (صدوق
اللسان - قليل الكلام) و (برارفيقا - عفيفا شفيقا) وقد أحدث هذا التوازن
الدقيق والنغم الرتيب إيقاعا داخليا موحيا بسرعة الحركة في البيت، وهذا الإيقاع
الداخلي بسرعة الحركة قد جاء منسجما ومتوازنا مع نغمات الإيقاع الخارجي
المتمثل في تفعيلات البحر المتقارب (فعولن فعولن - فعولن فعولن) هذا من
ناحية ، ومن ناحية أخرى ناسب الإيقاع الداخلي سرعة حركته الحث والمبادرة
على التخلق بهذه الصفات ، والذي يؤكد على أن الشاعر قصد بهذه الصفات
الحث والمبادرة مطلع القصيدة في قوله :

لك الفوز لكن بخلق كمل تقلد عقدا بحسن العمل
فـ (لكن) الاستدراكية ظلت في البيت حاجزا مانعا من نيل الفوز إلا بعد اكتمال
الخلق ، أو أنها جعلت من (الخلق المكتمل) الجسر الأوحـد للوصول إلى (الفوز)
الذي يتبارى في مضماره الطامحون .

ونجد الترصيع أيضا في مطلع قصيدته في مدح فلج المحيول في قوله :

أيـا فلج المعمور هـنـت بالبشر ووقيت من جذب، وحصنت من ضر
وجنبت من عيب ، وسلمت من أذى وبوركت عمري ما بقيت مدى الدهر

فلنحظ التقسيم الإيقاعي (ووقيت من جذب - وحصنت من ضر) و(جنبنت من عيب - وسلمت من أذى) أوجد توازنا دقيقا في تفعيلات البحر الطويل (فعولن مفاعيلن - فعولن مفاعيلن)، وحركة الإيقاع هنا - بلا شك - بطيئة عند مقارنتها بسرعة الحركة في المثال السابق من البحر المتقارب؛ لأن الشاعر هنا يتملى بناظره عجباً في نشوة فرح عودة حياة الخصب إلى فلج المحيول بعد طول فراق، وكأنه يعانقه عناقاً حاراً لا يكاد ينفك عنه، ومما ساعد على الإبطاء في الحركة توالي الأفعال المضعفة (وُقِّيت - حُصِّنت - جُنِّبت - سُلِّمت).

ومن الظواهر الإيقاعية لدى الشاعر التكرار على مستوى الكلمة أو التركيب ففي قصيدته البائية (من الله أرجو) يكرر حرف الترجي (لعل) في أربع أبيات متوالية، والتكرار هنا يعكس نفسية متفائلة، بخلاف دلالة التكرار في قصيدة (صمدت لذي النعمى) حيث كرر أسلوب القصر بـ (ما - إلا) في أربع أبيات متوالية يبدوها بقوله :

وما شجرة الإيمان إلا كأنها هشيم على أرض من الجذب بالية
فهنا يعكس نفسية متألمة عما آل إليه شرع الله في الأرض .

ونلاحظ كذلك تكرار أسلوب النداء (إلهي) في رائعته الدعائية التي يبدوها بقوله :
إلهي إليك الحمد والشكر والثناء قدير وعلام بصير وسامع
إلهي وسعت الكون علما ورحمة تسبحك الأكوان فالكل خاضع

وقد استغرق التكرار مطالع كل أبيات القصيدة عاكسا بذلك الإلحاح في الطلب والتلذذ بمناداة ربه جلّ وعلا، ومن نافلة القول أن ظاهرة التكرار بهذه الطريقة هي من الظواهر الملحوظة عند شعراء السلوك كما نجده عند أعلامه كالشيخ الرئيس أبي نيهان والمحقق الخليلي وأبي مسلم (٢٢).

أما التكرار الثنائي للفظ على مستوى البيت الواحد في قصيدة السلوك فهو ظاهرة جديرة بالتسجيل؛ فلفظة (العشق) - مثلا - تتكرر في قوله :

ندامى العشق ذابوا جوى فالعشق ذبح

وهكذا نجد ألفاظا أخرى على مستوى البيت الواحد مثل (عذل - عذال) و(يبخل - بخل) و(بسط - انبساط)، وأحيانا تتكرر اللفظة في عدة أبيات متوالية، هذا فضلا عن تكرار مرادفاتهما، وهذه التكرارات - بصورة عامة - موحية بالإصرار واللهث لنيل المراد في جوّ سلوكي كثيف .

كما نجد التكرار التركيبي (فقال زدني قال) في ميميته التي مطلعها (ورجل قال)، وهذا التكرار التركيبي يشغل أكثر من نصف مقاطع الشطر الواحد، وقد تكرر في الشطر الأول لسبعة أبيات متوالية؛ وبذلك أوجد إيقاعا منتظما يعكس نفسية مُلِحّة وراغبة في الامتلاء والتشبع .

٩- التنوع في شعره :

قصدت تأخير الحديث عن هذا الموضوع ليكون الكلمة الأخيرة في إطلائنا على الخصائص الفنية في شعر الشيخ راشد ، وخلاصة تجلي براعته ، وتكشف جانباً فنياً في شعره .

فمع أن الشيخ شاعر مقلّ إلا أن تعمّك في قصائده يفاجئك بومضة من التنوع الرأسي والأفقي في الموضوعات وطرق تناولها، هذا التنوع تتلاشى بين ضروبه رتابة التكرار، فلا تجد القصيدة نسخة من أختها، وإنما لكل صبغته الخاصة وبصمته المميزة ، ففي التنوع الرأسي نجد تعدد الموضوعات ؛ فقد طرق شعر الحكمة والشعر السلوكي والجدل الفكري (المناظرة الشعرية) والوصف والنظم الفقهي.

وفي التنوع الأفقي شكلاً ومضموناً نجد شعر الحكمة في بائته من الطويل (طلابي لنيل المجد) تمتاز من سائر قصائده بثنائية معارضتها، ولا مية من المتقارب (لك الفوز) تمتاز ب بروز إيقاعها الداخلي (الترصيع)، وهي بخطابها للمفرد المذكر تعكس النصيح والإرشاد على المستوى الفردي إن صحّ التعبير ، ويشاركها في ذلك لامية من الرجز (قلت وقولي قد عرى من الزلل) إلا أن النصيح هنا يتعد عن العمومية متمركزاً في فكرة واحدة هي (تنبيه من استبدل النوم باليقظة)، كما أن هذه القصيدة هي القصيدة الوحيدة التي أظهر فيها الشاعر تنوعاً في الشكل ،

إذ نجده يُصرّع كل أبيات القصيدة باللام، متجاوزا المألوف في الشعر العربي الذي اعتاد أن يُصرّع في البيت الأول فقط، وهي سمة نجدها أيضا عند غيره من الشعراء، كالعلامة ابن النضر في لاميته التي مطلعها :

آمنت بالله الوهوب المفضل الواحد الفرد القديم الأول
والآخر الباقي الذي لم يزل منشئ الأشياء لا بالحيل
أما ميميته من الرجز (ورجل قال) فهي أيضا تنصرف إلى النصيح والإرشاد، لكنها امتازت بتكرار فني، استمر في سبعة أبيات متوالية، وهو قوله : (فقال زدني قلت ...)، يذكرنا هذا التكرار بلامية الحارث بن عباد الجاهلي وهو يكرر قوله (قربا مربوط النعامة مني) في عدة أبيات متوالية ، أما المقطوعة الشعرية (فمن يومه أمضى) ميمية من الطويل تمتاز من سائر شعره بأنها تلتقط لنا صورة عن أهم يوميات الشيخ ، فقصائده الأخرى تمثل امتدادا عبر الزمن بأبعاده السابق والحاضر واللاحق ، أما هذه المقطوعة فهي ترصد لحظة من الزمن الحاضر لا تتجاوز يوما واحدا .

وإذا تعمقنا قليلا في شعر الحكمة يطالعنا نوع آخر منه لكنه هذه المرة يصدق به شاعرنا على المستوى الجماعي ليكون خطابا للأمة، ويمتاز هذا النوع بمسحته الاستنهاضية؛ فبائيته المكسورة من الطويل (من الله أرجو) تمثل هذا الجانب من شعر الحكمة بنفس تستشرف مستقبلا مشرقا لأمتها، بخلاف يائيته المفتوحة من

الطويل أيضا (صمدت لذي النعمى) فإنها تفيض بيث الشكوى إلى الله بنفس متألة مما آلت إليه شرعة الإسلام، كما تمتاز بكثرة الاتكاء على الحديث النبوي والموروث من أقوال العرب، ساق الشاعر تلك الأحاديث الشريفة دليلا على تحقق نبوءته - صلى الله عليه وسلم - بما تؤول إليه الأمور آخر الزمن، وقد استغرق نظم تلك الأحاديث النبوية الشريفة ثلاثة عشر بيتا، هذا فضلا عن بروز أقوال العرب إذا ما قارناها بسائر قصائده فنجدته يضمن قصيدته هذه بـ (خابط عشواء - أيادي سبا - سيم خسفاً - تطير به العنقاء - يشق العصا - رمطني صروف الدهر بأسهم).

وإذا ما أوغلنا في شعر الحكمة إلى أعماق نقطة فيه عند الشيخ وهو الشعر السلوكي فإننا نجد عينيته الابتهالية (إلهي إليك الحمد) تعكس نفسا مستكنة لربها، خاضعة متبتلة على أبواب رجائه، وتكرار أسلوب النداء (إلهي) الذي يميزها ينضح بالحاح في الطلب واستلذاذ بالترديد، وهذه القصيدة تذكرنا بابتهالية الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - التي هي أيضا من البحر الطويل وروياها العين المضموم ومطلعها:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلو تباركت تعطي من تشاء وتمنع
إلهي وخلاقي وحرزي وموئلي إليك لدى الإعسار واليسر أفزع (٢٣)

ويستمر الإمام علي في قصيدته يكرر أسلوب النداء (إلهي) في مطالع أبيات قصيدته، وقد تكرر هذا الأسلوب في ثلاثة وعشرين بيتا من سبعة وعشرين بيتا. يضاف إلى ذلك قصيدتان سلوكيتان : إحداهما حائية مضمومة من مجزوء الوافر، والأخرى لامية مضمومة من الرمل، وكل منهما تعكس لنا عمق تجربته السلوكية كما تبين ذلك سابقا.

أما رائيته من مجزوء الكامل فهي تمثل نمطا من أنماط الجدل الفكري بأسلوب أدبي، ويمكن أن نعتها من قبيل (المناظرة الشعرية) - إن صح التعبير - آخذين في الاعتبار أنها ليست بمقاييس المناظرة النثرية المعروفة في أدبنا العربي؛ فهذه تتوفر لها من مساحة التصرف في الكلام ما لا يتوفر لقرينتها الشعرية التي تراعي انتظام بنيتها الخارجية، لكن قصيدة الشيخ قد احتوت على جزء غير يسير من مقومات المناظرة كحسن الدخول في الموضوع والخروج منه، وحسن إدارة الحوار، والاهتمام بنفسية الخصم في التدرج معه في الموضوع بطريقة تحمله على الاقتناع، مع حشد الأدلة المناسبة العقلية والنقلية .

أما شعر الوصف فنجد فيه شيئا من التنوع؛ فرائيته المفتوحة من الطويل (علا شرفا) يصف فيها مكتبته وخزانة أسفاره، أما رائيته المكسورتان من الطويل في وصف فلج المحيول فهما تعكسان الشاعر بنفسيتين متباينتين: مرة متضايقا ضجرا، يقف على رأس فلج المحيول معاتبا وموبخا، ومرة منشرحا مستبشرا،

معانقا فلج المحيول، يلثمه بعد طول فراق، وهذا الانشراح جعل نَفْسَه في هذه القصيدة أطول من قصيدة العتاب التي لم تتجاوز أربعة عشر بيتا، أما هنا فالنفس قد أنست بقاء المحبوب؛ فاستغرقت - بكثرة أبياتها - وقتا أطول عنده، مستمتعة بالحديث معه، ومدحه، وبعيدا عن النظرة الأدبية لهاتين القصيدتين فإن لهما بُعْدا حضاريا، يكشف لنا جانبا من أوضاع المجتمع، وطرق عيشه؛ بما احتوته كل منهما من أصناف المعيشة الزراعية في بلده الرستاق في حال الشدة والرخاء.

الهوامش

(١) تحفة الأعيان، ص ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق، الصفحات ١٩٥ - ٣١٦ بتصرف.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٤) انظر في ذلك كتاب شقائق النعمان، وكتاب قلائد الجمان.

(٥) شقائق النعمان، ج ٣، ص ١٠٦.

(٦) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٧) جميع ما سيرد من أشعار عن الشيخ ماجد بن خميس العبري مصدرها

شقائق النعمان، ج ٣، ص ١٠٨ - ١١٩، أما ما سيرد عن الشيخ عبدالله

بن محمد الهاشمي فينظر فيه شقائق النعمان، ج ١، ص ٣٩٠.

(٨) ديوان نور الدين السالمي، ص ٨٦.

(٩) هناك دراسات نقدية وأدبية قليلة في (شعر السلوك العماني)، وقد عمدت

في تصنيف قصائد الشيخ راشد من حيث كونها قصائد سلوكية إلى

تضمنها مؤشرات خاصة بأدب السلوك كالمصطلحات السلوكية، وبرز

أفكار السلوكيين من عمق الابتغال والتبتل والانغماس في المحبة الإلهية،

والتلذذ بخمرتها ونحو ذلك، أما الشعر الذي يتضمن الحكمة بصفة

عامة، وما يتبعها من نصيح وإرشاد فقد احتزرت من تصنيفه ضمن الشعر

السلوكي؛ مراعاة لخصوصية الشعر السلوكي العماني، وتجنباً من الانزلاق في إشكال المصطلح النقدي ومفهومه. (للتوسع في شعر السلوك العماني اقرأ مقالة: "نصّ في السلوك العماني"، للدكتور وليد محمود خالص، مجلة نزوى، العدد ٢٤، ص ص ١٠٢ - ١١٢، وانظر كذلك دراسة الدكتور عادل بن راشد بن علي المطاعني بعنوان: "الشعر السلوكي: أعلامه موضوعاته خصائصه"، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، ٢٠٠٨م).

- (١٠) شقائق النعمان، ج ١، ص ١٤٣.
- (١١) ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، ص ٧٥.
- (١٢) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦٤.
- (١٣) الدعائم، ص ٢٣.
- (١٤) المرجع السابق، ص ٢٨.
- (١٥) شرح المعلقات العشر، ص ١٣٧.
- (١٦) ديوان الإمام نور الدين السالمي، ص ٥٧.
- (١٧) الدعائم، ص ٥٢.
- (١٨) المرجع السابق، ص ١٠٩.
- (١٩) الشعر العماني، ص ١٥٧.
- (٢٠) المرجع السابق، ص ١٦٢.

- (٢١) المرجع السابق، ص ١٦٣.
- (٢٢) انظر مثلاً قصيدة أبي مسلم البهلاني في (النفوس الرحمانى)، ص ٣٨٢.
- (٢٣) ديوان الإمام علي، ص ٩٥.

ديوان الشيخ

راشد بن سيف بن سعيد المكي

القصيدة الأولى (من البحر الطويل)

منظومة في الحكم النورانية

طَلَابِي لِنَيْلِ الْمَجْدِ أَسْمَى الْمَطَالِبِ	وَنَضْرِي لِإِدْنِ اللَّهِ أَسْنَى الْمَذَاهِبِ
وَصَرِي لِإِدْنِي إِنْ تَجَشَّعْنِي الْأَذَى	هُوَ الْفَوْزُ فِي نَيْلِ عَظِيمِ الْمَوَاهِبِ
وَبَذَلِي لِرُوحِي فِي رِضَى مَنْ أُحِبُّهُ	هُوَ الشَّرَفُ السَّامِي بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ (١)
فَمَنْ يَجْعَلِ الْقُرْبَانَ بِالنَّفْسِ مَا لَهُ	جَزَاءُ سِوَى الْحُسْنَى وَخَيْرِ الْعَوَاقِبِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا هِمَّةٍ تَخْرِقُ السَّمَاءَ	لِدَرْكِ الْعُلَايَبِلَى بِخَطْبِ النَّوَائِبِ
وَمَنْ لَا لَهُ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ مُرْتَقَى	رَقَاهُ عَلَى الْيَافُوخِ بَوَلُّ الثَّعَالِبِ (٢)
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعِلْمِ أَفْنَى زَمَانَهُ	تَغَشَّاهُ جَهْلٌ مُدْهِمٌ الْغِيَاهِبِ (٣)

(١) - (رضي) كتابة الألف مقصورة مذهب الكوفيين، أما البصريون فيكتبونها ممدودة لأنها واوية الأصل.

(٢) - (رقاه) : علاه . (لسان العرب، مادة : رقا).

- (اليافوخ) على وزن يفعول أو فاعول : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره ، أي أعلى الرأس (لسان العرب والمصباح المنير، مادة أفخ ويفخ) ، وهذا الشطر كناية عن الدّل ؛ تقول العرب : " دَلَّ من بالْت عليه الثعالب " يضرب مثلاً للرجل المهين يُظَلَم فلا ينتصر (جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٦٥).

(٣) - (مدْهِم) : أسود . (لسان العرب، مادة : دهم).

- (الغياهب) : جمع غيهب : شدة السواد. (لسان العرب، مادة : غهب).

وَمَنْ لَا لَهُ عِلْمٌ فَلَا شَرَفٌ لَهُ وَعِلْمٌ بِلَا زُهْدٍ كِهَاءٍ بِنَاضِبٍ (١)
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّرْعِ أَرْخَى عِنَانَهُ رُزْيٍ بِعَمَى عَنْ خَيْرٍ دَارِيهِ حَاجِبٍ (٢)
وَمَنْ جَعَلَ التَّقْوَى مِهَادًا نَجَا وَلَوْ أَتَى بِمَعَاصٍ قَبْلَهَا لَمْ يُعَاقَبِ
وَمَنْ يَخْلُ عَنْ ذِكْرِ لِمَوْلَاهُ قَدْ خَلَا مِنَ الرُّشْدِ كَالْمُخْذُولِ عَنْ فِعْلٍ وَاجِبِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي دَهْرِهِ عَالِمًا بِهِ سَقَتُهُ يَدُ الْإِيَامِ مُرَّ الْمَشَارِبِ
وَمَنْ حَطَّ حُكْمَ الْوَقْتِ فَالْمَقْتُ حَظُّهُ وَتَعْطِيلُهُ الْأَوْقَاتِ كُبْرَى الْمَصَائِبِ (٣)

(١) - " لا شرف له " يجوز عدم إعمال لا النافية للجنس مع النكرة المتصلة، ورأى بعضهم جواز عدم تكرارها. (شرح الكافية، ج ٢، ص ١٩١).

- (الناضب) : البعيد، ومنه قيل للهاء إذا ذهب : نضب أي بُعد (لسان العرب، مادة نضب)، قوله : "كهاء بناضب" أي كهاء بمكان باعد أو غائر يتعذر الإفادة منه ، وكذا المشبه "وعلم بلا زهد" : يتعذر الإفادة من العلم مع توفره إن لم يمتزج بزهد.

(٢) - " أرخى عنانه " كناية عن الإذعان والانقياد طوعية.

- (رزى) : مخفف رُزِيٍّ بمعنى أصيب بمصيبة (المصباح المنير، مادة رزى)، و(حاجب) نعت لـ (عمى) ، والجار والمجرور (عن خير) متعلق بـ (حاجب).

(٣) " فالملت حظّه " كذا في الأصل، ولا يستبعد أن يكون ثمة تصحيف من "فالملت حظّه" بالطاء المهملة ، أو من "فالوقت حظّه" .

وَمَنْ لَمْ يُرَاعِ حَالَ أَهْلِ زَمَانِهِ يَعِشْ مُفْرَدًا مَا إِنَّ لَهُ مِنْ مُقَارِبِ (١)
وَمَنْ يُكْرِمْ الْأَحْرَارَ يَمْلِكُ رِقَابَهُمْ وَإِكْرَامُهُ الْأَنْذَالَ إِحْدَى الْمَعَايِبِ
وَمَنْ قَارَنَ الْأَعْدَاءَ بِمَا يَكْرَهُونَهُ رَأَوْا فِي تَعَادِيهِ نُزُولَ الْمَعَاطِبِ
وَمَنْ كَانَ مَأْسُورًا بِجُبْنِ لَدَى الْوَعَى يَذُقُ مِنْ يَدِ الْأَبْطَالِ حَرَّ الْقَوَاضِبِ
وَمَنْ لَا لَهُ بِالْحَرْبِ عِلْمٌ وَلَا دَهَاءُ يُصَبُّ حَتْفُهُ تَلْقَا الْعَدُوِّ الْمُحَارِبِ (٢)
وَمَنْ رَفَضَ الْحَزْمَ الْمَنِيْعَ يُلَمُّ وَلَوْ تَنَاشَبَهُ أَمْرُ الْقَضَا بِالْمَخَالِبِ (٣)
وَأَنْ تُسْعِدَ الْأَقْدَارُ ذَا الْعَجْزِ عَرَّجَتْ بِهَمَاتِهِ فَوْقَ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
وَمَنْ لَا لَهُ عَزْمٌ لَهُ الْعَجْزُ قَائِدٌ وَعَزْمٌ عَلَى حَزْمٍ مَنَالُ الْمَطَالِبِ
وَمَنْ لَمْ يَصُنْ أَعْرَاضَهُ بِثَرَائِهِ تَلْقَى شَنِيعَ الثَّلْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٤)
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَنْزَ الْقَنَاعَةِ مَالُهُ يُقَنَّعُ بِفَقْرِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لَا زِبِ (٥)
وَمَنْ كَانَ ذَا بُخْلِ حَرِيصًا بِمَالِهِ رُمِيَ بِالْقِلَى مِنْ أَقْرَبَا وَأَجَانِبِ

(١) "ما إن له من مقارب" (ما) نافية ، و(إن) زائدة ، كقول الشاعر :

بني غدانة ما إن أنتم ذهب .. ولا صريف ولكن أنتم الخزف

(٢) (دَهَاءُ) أصلها (دَهَاءٌ) فحذفت الهمزة مراعاة للوزن.

(٣) (تناشبه) : علق به (لسان العرب، مادة نشب).

(٤) (الثلب) : شدة اللوم والأخذ باللسان (لسان العرب، مادة ثلب).

(٥) (لازب) : لاصق (لسان العرب، مادة لزب).

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ يُحْمَدُ بِأَهْلِهِ وَإِنْ لَمْ يُصِبْ فِي أَهْلِهِ لَمْ يُعَاتَبِ
وَمَنْ لَمْ يُصَاحِبْ غَيْرَ حَبِيرٍ وَذِي أَصْطَفَى فَيَمْضِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ غَيْرِ صَاحِبٍ (١)
وَمَنْ فَكَّ غُلَّ الدِّينِ مِنْ عُنُقِهِ يَعِشْ رَئِيساً وَحُرّاً مَالَهُ مِنْ مُطَالِبٍ (٢)
وَمَنْ لَمْ يَصُنْ عِرْضاً وَلَمْ يَخْشَ رَبَّهُ وَلَمْ يَسْتَحِ أَرْذَاهُ سُوءُ الْعَوَاقِبِ
وَمَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ غَوَى وَمَنْ يَنْتَمِي أَرْزَاهُ غَيْرُ الْمُنَاسِبِ (٣)
وَمَنْ يَأْمَنْ مَكْرَ الْغَوَايِي يَكِدْنَهُ وَمَنْ غَدِرَهَا تَبَيُّضُ سُودِ الذَّوَائِبِ (٤)
وَمَنْ يَصْحَبِ السُّلْطَانَ أَضْلَى بِنَارِهِ وَأَمْسَى رَهِيناً فِي قَبِيحِ الْمَكَاسِبِ
وَمَنْ يُخْدِمِ الدُّنْيَا يَصِرْ رِقَّهَا وَمَنْ عَلَى عَكْسِ ذَا أَوْلَتْهُ كُلُّ الْمَطَالِبِ
وَمَنْ خَادَنَ الْأَشْرَارَ أَخْزَاهُ شَرُّهُمْ وَ(مَنْ) لَمْ يُكْرَمْ نَفْسَهُ لَمْ يُرَاقَبِ (٥)

(١) (حبر) : عالم (لسان العرب، مادة حبر).

(٢) (عنقه) : بسكون النون على لغة تميم، أما ضمها للإتباع على لغة الحجاز (المصباح المنير، مادة عنق).

(٣) (أزراه) : أزرى عليه : عابه (لسان العرب، مادة زري).

(٤) (الذوائب) : جمع (ذؤابة) بالضم مهموز : الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة (المصباح المنير، مادة ذاب).

(٥) - (خادن) : صاحب وصادق (لسان العرب، مادة خدن).

- (من) : غير واردة في الأصل، وأضيفت مراعاة لوزن البيت.

وَمَنْ جَارُهُ ذُو السُّوءِ كَالنَّارِ إِنْ دَنَا هَا أَحْرَقَتْهُ أَوْ كَسَمَّ الْعَقَارِبِ
وَمَنْ عَاشَ كَلًّا فَالْوَرَى يَمُقْتُونَهُ وَقَطَعُ الرَّجَا عَنْهُمْ جَمِيلُ الْمَنَاقِبِ (١)
وَمَنْ لَالَهُ مَالٌ يَعِشُ فِي مَهَانَةٍ بَلَا فَقْرِهِ يَسْقِيهِ كَأْسُ الْمَتَاعِبِ (٢)
وَمَنْ يَسْتَشِرْ يُؤْتَ الصَّوَابَ لِرُشْدِهِ وَكَمْ عَاقِلٍ فِي رَأْيِهِ غَيْرُ صَائِبِ
وَمَا لَيْسَ مِنْ رِزْقِ الْفَتَى لَوْ (رَقَى) السَّمَاءَ وَمَا لِلْقَضَا مِنْ دَافِعٍ وَمُغَالِبِ (٣)
وَمَنْ تَرَكَ الْأَسْبَابَ فِيمَا يَرُومُهُ كَطَالِبِ شَرْقٍ فِي سُلُوكِ الْمَغَارِبِ
وَمَنْ لَمْ يُيَالِ مَا يُسَيِّغُ يَبْطِنُهُ يُسَيِّغُ شُرْبَ أَنْكَ مِنْ لَظَى النَّارِ ذَائِبِ (٤)
وَمَنْ يَشْكُرِ النِّعْمَاءَ يَأْمَنُ زَوَاهَا وَكَافِرُهَا قَدْ فَكَّ قَيْدَ الْمَسَالِبِ (٥)
وَمَنْ لَالَهُ صَبْرٌ فَلَا ظَفَرٌ لَهُ وَمَنْ ذُو ثَبَاتٍ سَعِيَّهُ غَيْرُ خَائِبِ

(١) (كلا): الكَلُّ الذي هو عيال (عبء على غيره) وثقل على صاحبه، وفي التنزيل: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾؛ أي عيال (لسان العرب، مادة كلل).

(٢) (بلا): أي (بلاء) وخفف مراعاة للوزن.

(٣) - في الأصل (رقا)، والصواب (رقى) لأن الألف يائية.

- تقدير الكلام: وما ليس من رزق الفتى فلن يناله ولو رقى السماء.

(٤) (أنك): الأنك الرصاص القلعي (الجيد من الرصاص) (لسان العرب، مادة أنك).

(٥) "وَكَافِرُهَا قَدْ فَكَّ قَيْدَ الْمَسَالِبِ" أي أن الكافر بسبب جحده النعمة يفتح على نفسه باب زوالها عنه.

وَمَنْ يَغْلُ كِبْرًا يُرْغِمُ اللَّهُ أَنْفَهُ وَمَنْ يَتَوَاضَعُ يَرْقَ ذُرْوُ الْمَنَاصِبِ (١)
وَمَنْ يُودِعَنَّ سِرًّا سِوَاهُ أَذَاعَهُ وَكَيْتَمَاتُهُ الْأَسْرَارَ تُجْحُ الْمَارِبِ
وَمَنْ يَقْطَعَنَّ الْوَصْلَ صَلُّهُ وَمَنْ هَفَا لَدَيْكَ اجْزِهِ حِلْمًا تُسْذِفِي الْأَقَارِبِ
وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ يُضْرَعُ بِهِ وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِالْعَيْبِ يُفْضَحُ بِعَائِبِ
وَمَنْ لَمْ يَرَى عُقْبَى الْأُمُورِ فَيَغْتَرِزْ وَلَمْ يَغْتَبِرْ مِنْ جَاهِلٍ بِالتَّعَاقِبِ
وَمَنْ يَرْضَ فِي (حُكْمٍ) الْقَضَا قَلَّ سُخْطُهُ كَمَنْ أَوْكَلَ التَّدْيِيرَ مَعَ خَيْرٍ وَاهِبِ (٢)
وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْأَلَ مُجَّ وَلَمْ يَنْلُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا سُوءَ قَطْعِ التَّحَابِ (٣)
وَمَنْ كَانَ مَأْمُونًا لَهُ الْيُسْرُ لَا زِمَ وَهَلْ مِنْ خُثُونٍ تَلْقَهُ غَيْرَ سَاغِبِ (٤)

(١) (ذرو) أراد (ذروة) وقد حذف آخر الكلمة مراعاة لوزن البيت.

(٢) - (حكم) في الأصل (حكمه) ولا موضع للهاء هنا، ولعلها سهو زيادة من النساخ،
وقوله : (في حكم) بمعنى (بحكم)؛ لأن (في) تأتي بمعنى الباء (مغني اللبيب، ج ١، ص ٦٩)
و (رصف المباني، ص ٣٩).

- (مع) بسكون العين، يقول ابن هشام : "تسكين عينه (أي عين مع) لغة غنم وربيعة، لا
ضرورة خلافا لسيبويه" (مغني اللبيب، ج ١، ص ٣٣٣).

(٣) (مُجَّ) : مَجَّ الرجل الماء من فيه مَجًّا (من باب قتل) رمى به (المصباح المنير، مادة مجج)
وسياق الكلام في البيت كناية عن النبذ.

(٤) (ساغب) : جائع ، أو هو الجوع مع التعب (المصباح المنير، مادة سغب).

تَرَى الْحُرْفَ فِي دُنْيَاهُ حَرْبًا لِنَفْسِهِ
وَمَنْ لَمْ يُوَالِ الْأَوَّلِيَّاءَ وَيُعَادِلِلْهُ
فَخُذْ حِكْمًا تَعْلَمُ بِهَا الْفَوْزَ وَالْهُدَى
وَحَمْدِي لِرَبِّي وَالصَّلَاةُ لِشَافِعِي

فَلَا تُفْهِهِ فِيمَا يَشِينُ بِوَاثِبِ
عُدَاةٍ فَلَا يَرْضَاهُ خَيْرُ الْمَذَاهِبِ
إِذَا لَمْ تَكُنْ عَنْ رُشْدِهَا بِمُجَانِبِ
كَذَا أَلْهُ مَعَ صَاحِبِهِ وَالْأَطَايِبِ

القصيدة الثانية (من البحر الطويل) :

منظومة أخرى

مِنْ اللَّهِ أَرْجُو دَفَعَ مَا بِي مِنَ الْكَرْبِ مِنْ الْإِبْتِلَاءِ بِالنَّاسِ فِي الزَّمَنِ الصَّغْبِ
 فَرُمْتُ اعْتَزَلًا نَائِيًا عَنْ بَلَائِهِمْ فِرَارًا بِدِينِي عَنْهُمْ فَارَغَ الْقَلْبِ
 إِذَا حَشَدُوا النَّادِي بِجَمْعِي عِنْدَهُمْ وَمَا قَبُلُوا عُذْرِي بِنَائِي عَنِ الْقُرْبِ
 يُرِيدُونَ نَصَبًا مَا لَهُ الدَّهْرُ خَافِضُ فَهَلْ عَامِلٌ لِلْخَفَضِ يُوَضِّعُ لِلنَّصْبِ؟
 تَعَلَّقْتُ بِالْحَبْلِ الَّذِي كُلُّ مَنْ بِهِ تَعَلَّقَ يَنْجُو - صَاحٍ - مِنْ أَعْظَمِ الْحَطْبِ
 فَيَارَبِّ حُلِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَلَا أَرَى عِصْمَةً مِنْهُمْ بِغَيْرِكَ يَا رَبِّي
 لَعَلَّ شُمُوسَ الْعِلْمِ يُشْرِقُ نُورُهَا فَيُجَلِّي بِهِمُ الْجَهْلَ فِي زَمَنِ رَحْبِ (١)
 لَعَلَّ جَنَّاتِ الْفَضْلِ يَخْضَرُ رَوْضُهَا فَتَنْجِي بِدَوْحِ الْكَرْمِ مِنْ ثَمَرِ الْحَبِّ (٢)
 لَعَلَّ الزَّمَانَ الصَّغْبَ يَكْبُو جَوَادُهُ بِتَفْرِيقِ شَمْلِ الْبَغْيِ بِالْحَسَفِ وَالسَّلْبِ
 لَعَلَّ بُرُوقَ النَّصْرِ تَنْهَلُ مُزْنُهَا فَتَبْعَثُ أَجْسَامًا فَتُنْجِي مِنَ الصَّوْبِ (٣)

(١) (بهيم) : من معانيه السواد، والأمر المشكل والمستغلق (لسان العرب، مادة بهيم).

(٢) (دوح) : جمع مفردة دوحة، وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت (لسان

العرب، مادة دوح).

(٣) (الصَّوْب) : من معانيه المطر، والإصابة (المصباح المنير، مادة صوب).

وَيُحْيِي رُبُوعًا بَادَ بِالذَّهْرِ أَثْرُهَا وَمِنْ قَبْلِ ذَا ضَاءَتْ بِأَعْلَامِهَا النَّضْبِ (١)
 أَرَى أُسْرَا الدُّنْيَا ثَمَالِي كَأَنَّهُمْ سُقُوا مِنْ كُؤُوسِ الْحَمْرِ عَلَاءً عَلَى شُرْبِ (٢)
 يَجُودُونَ بِالْأَزْوَاحِ فِي حُبِّ جَمْعِهَا فَتَنَهُلُهُمْ مِنْهَا مَسَاغًا مِنَ الصَّابِ (٣)
 فَأَنْتَ إِلَهِي ذُو اقْتِدَارٍ لِمَا تَشَاءُ فَأَمَّنْ لِرَوْعِي بِالسُّكُونِ مِنَ الرُّغْبِ
 وَيَسِّرْ لَنَا رِزْقًا وَسَعِيًّا بِلَا عَنَاءٍ فَمَا نِعْمَةٌ إِلَّا وَمِنْ فَضْلِكَ الْوَهْبِ (٤)
 وَصَلَّ إِلَهِي مَا جَرَى فَلَكَ السَّامَا عَلَى مَنْ بِهِ الْإِزْشَادُ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ

(١) (أثرها) : أثر الدار بقيتها (المصباح المنير، مادة أثر).

(٢) - (أسرا) مخففة من (أسراء) جمع أسير.

- (ثمالي) جمع ثمل وهو الذي أخذ منه الشراب والسكر (لسان العرب، مادة ثمل).

- (علا) العَلَّ أو العلل : الشربة الثانية ، وقيل : الشرب بعد الشرب تباعا (لسان العرب، مادة علل).

(٣) (الصاب) عصارة شجر مرّ (لسان العرب، مادة صوب).

(٤) (عنا) مخففة من (عناء).

القصيدة الثالثة (من مجزوء البحر الوافر) :

منظومة في ذكر المحبّ والمحبوب والكأس والصهباء (المحبة الإلهية)

أَسِيرُ الْحُبِّ يَنْحُو	سَـبِيلًا فِينَا رَوْحُ
عَلَى جَنَاحِ نَحِيلٍ	وَطَرْفِ فِينَا لُحُ
إِلَى الْمَحْبُوبِ يَرْزُو	وَبِالْأَخْشَاءِ لَفَحُ (١)
يُسْحُ الدَّمْعُ مِنْهُ	لَهُ بِالْحَدِّ سَفْحُ (٢)
نَدَامَى الْعِشْقِ ذَابُوا	جَوَى فَالْعِشْقُ ذَبْحُ (٣)
فَكَمْ مَنْ هَامَ فِيهِ	وَلَا يُجْدِيهِ نَضْحُ
وَلَا يُضْغِي لِعَذْلِ	إِذَا الْعُذْلُ يُلْحُوا (٤)

(١) - (يرنو) الرنو : إدامة النظر (لسان العرب، مادة رنا).

- (لفح) حرق، يقال لفحته النار بمعنى أحرقته، ومن معانيه الحر والوهج (لسان العرب،

مادة لفح).

(٢) - (يسح) سال واشتدّ انصبابه (لسان العرب، مادة سح).

- (سفح) سفح الدمع : أرسله (لسان العرب، مادة سفح).

(٣) (جوى) الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن (لسان العرب، مادة جوا).

(٤) (يلحوا) يلوموا ويعذلوا (لسان العرب، مادة لحا).

- إِذَا مَا اللَّيْلِ دَجَى فَمَا النَّشْوَانُ يَضْحُو (١)
يَلْدُ الْكَأْسُ فِيهِ إِذَا مَا امْتَدَّ جُنْحُ (٢)
مُـدِيْمُ النَّهْلِ عَـلَا بِبَذْلِ الرُّوحِ سَمَحُ (٣)
وَمَنْ يَبْخُلُ بِرُوحٍ فَذَاكَ الْبُخْلُ قُبْحُ
وَمَا الْمَخْرُومُ إِلَّا عَزِيْزُ النَّفْسِ وَقَحُ (٤)

(١) - "الليل داج" الدجى سواد الليل مع الغيم وأن لا ترى نجما ولا قمرا ، وقيل بمعنى هداً وسكن ، وقيل دجى الليل إذا تمت ظلمته وألبس كل شيء (لسان العرب، مادة دجا).
- (يصحوا) الصَّخَوُ في الاصطلاح الصوفي : " رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي " ؛ وتوضيحا لهذا التعريف فـ(الغيبة) : " غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه " ، و(الوارد) : ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمُّل (التعريفات ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥).

(٢) (جُنْح) بضم الجيم وكسرهما: ظلام الليل واختلاطه (المصباح المنير ، مادة جنح).

(٣) - (النهل) أول الشرب (لسان العرب، مادة نهل).

- (علا) العَلَّ أو العلل : الشرب بعد الشرب تباعا (لسان العرب، مادة علل).

(٤) (وقح) قلة الحياء (المصباح المنير ، مادة وقح).

وَمَنْ لَمْ يَضْبُ وَجْداً فَبِالتَّحْقِيقِ شُحُّ (١)
 سَلِيبُ الْعَقْلِ ثَاوٍ كَمَنْ أَرْدَاهُ قَرْحُ (٢)
 رِيَاضُ الشُّوقِ فَاحَتْ عَبِيراً فِيهِ رَشْحُ
 وَفِيهَا الْوُزْقُ نَاحَتْ وَبَاهِرَ جَآتٍ صَدْحُ (٣)

(١) - (يَضْبُ) يشاق (لسان العرب، مادة صبا).

- (وجدا) الْوَجْدُ: الْحُبُّ (تاج العروس والقاموس المحيط، مادة وجد)، وفي كليات الكفوي: "الْوَجْدُ: الْحُبُّ الَّذِي يَتَّبِعُهُ الْحُزْنُ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي الْحُزْنِ" (الكليات، مادة حُب)، وفي الاصطلاح الصوفي: "ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنّع، وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا" (التعريفات، ص ٢٦٢)، ويقول التهانوي: "الْوَجْدُ مَصَادِفَةُ الْبَاطِنِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَارْدَا يورث فيه حزنا أو سرورا أَوْ يَغْيَرُهُ عَنْ هَيْئَتِهِ وَيَغْيِيهِ عَنْ أَوْصَافِهِ بِشُهُودِ الْحَقِّ" (كشاف الاصطلاحات، مادة الوجد).

(٢) (قَرْح) جُرْح (لسان العرب، مادة قرح).

(٣) - (الْوُزْقُ) جمع ورقاء وهي الحماسة (لسان العرب، مادة ورق).

- (صَدْح) رفع الصوت بالغناء وغيره (لسان العرب، مادة صدح).

- مُجَاوِبُهُ شَاشِجِيٌّ لَهُ وَلَهُ وَنَوْحُ (١)
 وَفِيهِ هَاهَبٌ رَوْحُ لَهُ نَشْرٌ وَنَفْحُ (٢)
 وَفِيهِ أَبْخَرُ عَشْقِي لِكُلِّ فِيهِ سَبْحُ
 وَفِيهِ أَحَانُ صَهْبَا بِهِ الْكَاسَاتُ طَفْحُ (٣)
 وَكَزْمُ السُّكْرِ دَانٍ بِهِ الْأَحْبَابُ قُرْحُ (٤)

(١) (وَلَهُ) الوله : ذهاب العقل والتحرير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف أو هو ذهاب العقل لفقدان الحبيب (لسان العرب، مادة وله) ، وفي الاصطلاح الصوفي: (الوله): إفراط الوجد (التعريفات ، ص ٢٧٦).

(٢) (رَوْح) بَرْد نسيم الريح ، أو نسيم الريح (لسان العرب، مادة روح).

(٣) - (حَانُ) يريد حانة أو حانوت وهو دكان البيع، و(صهبا) أراد صهباء ، والصهباء الخمر، سميت بذلك للونها الذي يخالط بياضه حمرة (لسان العرب ، مادة صهب).

- (طفح) طَفَحَ الإناء والنهر : امتلأ وارتفع حتى يفيض (لسان العرب، مادة طفح).

(٤) - (السُّكْر) في الاصطلاح الصوفي : " غيبة بوارد قويّ " (التعريفات ، ص ٢٧٥) ، وقد سبق تعريف المصطلحين (الغيبة) و(الوارد).

وَفِيهِمَا مَنْ تَجَلَّى سَنَا الْمَحْبُوبِ فَتَنُحُ (١)
 سُيُوفُ الْحُبِّ تُفْنِي بِهَاقَتُلْ وَجَزُحُ
 فَإِنْ لَمْ تَرُضْ فَاضْبِرْ فَإِنَّ الصَّابِرَ مَذُحُ
 وَإِنْ تَعَجَّبْ فَجَرِّبْ وَذُقْ فَالْوَجْدُ بُرُحُ (٢)
 فَيَا رَبِّي أَذِقْنِي شَمُولاً فِيهَا سُنُحُ (٣)

(١)- الذي يظهر أن (فتح) مبتدأ مؤخر ، وخبره متعلق الجار والمجرور (فيها) ، والجار والمجرور (من تجلَّى) متعلق بنعت للمبتدأ، و(من) أفادت التعليل ؛ أي أن في رياض الشوق فَتَنُحُ من تجلَّى سنا المحبوب.

- (تَجَلَّى) التجلَّى في الاصطلاح الصوفي : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (التعريفات ، ص ٢٧٧).

(٢)- (ذُقْ)(الذُّوق) في الاصطلاح الصوفي: أوّل مبادئ التجليات الإلهية (التعريفات ، ص ٢٧٥)، وهو أيضا :نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرّقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك كتاب أو غيره (التعريفات ، ص ١١٩).

- (بُرُح) البرُح : العجيب أو العظيم ، أو بمعنى الظهور والانكشاف (لسان العرب، مادة برح).

(٣)- (شَمُولاً) خمرا. (لسان العرب ، مادة شمل).

- (سُنُح) السُنُح : اليمن والبركة (لسان العرب ، مادة سنح).

أَدِرْ كَأْسِي دِهَاقَا لَعَلِّي لَسْتُ أَضْحُو (١)
 وَلَا أَضْبِرْ حِلَالِ لِدَلِّهِ الشُّكْرِ يَمْحُو (٢)
 وَلَا أَرُتْ وَبَطْرُفِي لِمَا لَا فِيهِ نُجْحُ
 وَلَا أَنْزُو بِعَظْفِي لِقَوْمٍ فِيهِ طُلْحُ (٣)
 فَتَائِي فِيهِ وَجُودَا بَقَاءٍ فِيهِ رَبُّنَحُ
 وَذُلِي فِيهِ عِزُّ كَلَّيْلِي فِيهِ صُبْحُ
 وَكَشَفُ السَّرِّ أَمْرٌ يَضَيِّقُ بِذَاكَ شَرْحُ (٤)
 فَأَنْتَ الرَّبُّ حَسْبِي فَحُبِّي فِيكَ أَنْحُو (٥)

(١) (دهاقا) مملوءة (لسان العرب ، مادة دهق).

(٢) (دَلَّه) الدَّلَّة والدَّلَّة : ذهاب الفؤاد من هَمٍّ أو نحوه ، كما يدلّه عقل الإنسان من عشق أو غيره (لسان العرب ، مادة دله).

(٣) - (أنزو) نزا به قلبه : طمح (لسان العرب ، مادة نزو). - (عَظْفِي) بكسر العين : عِظْف كل شيء جانبه ، أو تكون (عَظْفِي) بفتح العين : الميلان والانحناء (لسان العرب ، مادة عطف). - (طُلْح) الطالْح : الفاسد (لسان العرب ، مادة طلح).

(٤) (السَّر) في الاصطلاح الصوفي : يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به ، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه ، وسر الحقيقة ما تقع به الإشارة (التعريفات ، ص ٢٧٦).

(٥) (أنحو) أقصد (لسان العرب ، مادة نحو).

وَالذُّوقُ كُلُّ قَادُهُ بِالسَّحْرِ يَاعَقْلُ قُهُزِ
وَالْأَضْلُ فِي ذَا نُطْقَةٍ مَقْدُوفَةٌ فِي مُسْتَقَرِّ
ثُمَّ اسْتَحَالَتْ عَلَقَةٌ فَمُضْغَةٌ تُنْهِي الصُّوْرَ (١)
قَدْ صَارَ مِنْ تَشْكِيلِهَا هَيْكَلٌ أَنْتَى أَوْ ذَكْرُ
ثُمَّ إِذَا الرُّوحُ انْتَشَتْ صَارَ جَنِينًا مُضْطَمِرَ (٢)
فَافْتَرَّ مِنْ أَكْثَامِهِ أَفْ — تَرَارَ أَكْثَامُ الشَّجَرِ (٣)

(١) (تُنْهِي) تَبْلُغُ ، من أنهى الشيء إذا أبلغه (لسان العرب ، مادة نهي).

(٢) - (انتشت) الأصل في الانتشاء : أول السكر ومقدماته ، والنشوة : الخبر أول ما يرد (لسان العرب ، مادة نشأ)، والنشوة : الارتياح للأمر والنشاط له (المعجم الوسيط، مادة نشى)؛ وعلى هذا فالمعنى السياقي للكلمة في البيت : أول ما تدبُّ الروح في الجسم وتنشط .

- (مضطمر) يقال : لؤلؤ مضطمر أي منضم (لسان العرب، مادة ضم).

(٣) (افتَرَ): افتَرَ الإنسان ضحكاً ضحكاً حسناً، وافتَرَ البرق تلاً ، واستعاروا ذلك للزمن فقالوا : إنَّ الصَّرْفَةَ ناب الدهر الذي يفتَر عنه ؛ وذلك أن الصَّرْفَةَ إذا طلعت خرج الزهر واعتمَّ النَّبْتُ (لسان العرب، مادة فر).

فَأَنْهَلَ طِفْلاً مُسْتَهْلاً — لَأَ مُسْتَوٍ خَلْقاً بَشِراً (١)
 صِرْنَا وَكَمْ مِنْ بَاهِرٍ — الْأَلْبَابِ فِينَا ذِي عِزٍّ
 مِنْهَا بَدِيعُ طَبَائِعٍ — فِيهَا التَّخَالُفُ قَدْ بَهَرَ
 وَلَنَا مَسَاعٍ حَصْرُهَا — لَيْسَتْ بِعَدُّ نُقْصَرِ
 وَلَنَا الْعُقُولُ اسْتَحْسَنَتْ — وَاسْتَقْبَحَتْ خَيْراً وَشَرَّ
 فَلَهَا الْبَوَاعِثُ أَرْعَجَتْ — وَجَرَى الْمُقَدَّرُ وَاسْتَمَرَ (٢)
 فَتَخَرَّبَتْ هِمَمُ النُّفُوسِ — سِ بِمَا الْقَضَا فِيهِ اسْتَقَرَّ
 إِنْ قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ الْبَوَا — عِثْ؟ قُلْتُ: مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ
 أَوْ مَا تَرَى الْعَاصِي يَحْجُو — مُ إِلَى الْمَهَالِكِ وَالضَّرَرِ
 مُسْتَحْسِناً لِلْقُبْحِ لَا — عَقْلٌ يُفِيدُ وَلَا بَصَرُ

(١) - (انهل): كل شيء انصب فقد انهل (لسان العرب ، مادة همل)، والمعنى السياقي لـ (انهل) هنا: النزول .

- (مستهلاً) استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة (لسان العرب ، مادة همل).

(٢) (البواعث) جمع باعث ، وبعثه على الشيء : حمله على فعله (لسان العرب ، مادة بعث)، والمعنى السياقي للكلمة هو الدوافع والأسباب ، كقول ابن دريد :

وقد أزعجت نفسي بواعث من أسي فأجشمت نفسي ردع تلك البواعث

وَتَرَى الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ فِيمَا نَهَى أَوْ مَا أَمَرَ
مُسْتَحْسِنًا حُسْنًا وَعَنُ كُلَّ الْقَبَائِحِ فَازْدَجَرَ
دَغَ أَنْ تُقْلَ كَتَبَ الذُّنُ بَ لِكَيِّ أَعَذَّبَ فِي سَقَرِ (١)
لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ بَلِ الْمُسْتُوْلُ عَبْدٌ مُحْتَقَرُ
إِيَّاكَ تَسْأَلُ : لَمْ فَعَلُ تَ لِمَا تَشَاءُ مِنَ الضَّرَرِ (٢)
أَوْ أَنْ تَفُوَّةَ : (لَمْ خَلَقَ تَ) مِنَ الْقَبَائِحِ فِي الصُّورِ (٣)
كَالْقِرْدِ وَالْخَنْزِيرِ أَوْ مُسْتَهْجَنٍ مِنْ ذِي مُضِرِّ (٤)

(١) (أن تقل) جُزِمَ الفعل المضارع للضرورة الشعرية ، ويرى بعض الكوفيين وأبو عبيدة أن (أن) جازمة ، وهي لغة بعض بني صباح من ضبة ، ولغة بني حنيفة (مغني اللبيب ، ج ٢ ، ص ٣٠) و(جواهر الأدب ، مادة أن المخففة).

(٢) (لَمْ) أصلها (لَمْ) بكسر اللام وفتح الميم ، وسكنت الميم هنا للضرورة الشعرية .

(٣) - (لَمْ) في الأصل (لما) ، ولعله سهو من النساخ (انظر الهامش السابق).

- (خلقت) في الأصل (نشأت) ، والصواب معنى (خلقت) .

(٤) - في الأصل زيادة كلمة (بل) بعد كلمة الخنزير ، ولعلها سهو من النساخ ، ولا معنى لها هنا ، فضلاً عما تسببه من اختلال في الوزن فحذفتها.

- (مُضِرَّ) اسم فاعل من (أضرَّ) ، ولعله أراد المصدر (مَضَرَّة) ، فأبدل بالمصدر اسم

الفاعل .

وَالَّذُمْ قِيلَ كَذَا الثَّوَا بٌ وَعَكُسُهُ ذَاكَ إِنَّهُ دَر

فَضْل

أَفَعَالُنَا كَسَبُ لَنَا لَكِنْ هَارَبِي فَطَرُ
 إِنْ قَالَ: لَا، قُلْنَا: فَمَنْ خَلَقَ أَفْعَالِ الْبَشَرِ؟
 إِنْ قَالَ: لَوْ يَخْلُقُ لَأَ فَعَالِ جَارِي لِلْقَدَرِ
 قُلْنَا: عَلَى الْمَقْدُورِ يَجْزِي تَائِباً أَوْ مَنْ أَصَرَ
 إِنْ قَالَ: مَا الْبُرْهَانُ فِي خَلْقِ الْأَفْعَالِ انْحَصَرَ؟
 قُلْنَا: أَشَيْءٌ فَعَلْنَا أَمْ لَا؟، أَجَلٌ فِيهِ النَّظَرُ
 إِنْ قَالَ: شَيْءٌ، قُلْتُ: هَلْ شَيْءٌ بِلَا خَلْقٍ ظَهَرَ؟!
 أَوْ قَالَ: لَا، قُلْنَا: فَمَا لَا شَيْءَ هَلْ فِي الْمُلْكِ قَرَّ (١)
 أَوْ قَالَ: "إِنَّ الْكُفْرَ لَمْ يَخْلُقْهُ رَبِّي" قَدْ كَفَرَ
 قَدْ دَلَّ فَخَوَى قَوْلِهِ لِلَّهِ شِرْكٌ فِي الْقَدَرِ
 يُغْصَى بِإِكْرَاهٍ وَذَوِ الْعِضْيَانِ أَقْوَى مِنْ قَدَرِ (٢)

(١) أي فالذي صفته لا شيء (أي المعدوم) لا يقرُّ (أي لا يثبت وجوده) في الملكوت .

(٢) توضيح لدلالة فحوى قوله الواردة في البيت السابق.

أَوْ قَالَ: لَوْ شَاءَ الْكُفْرَ شَاءَ (لِفَعْلِهِ) وَبِهِ أَمَرَ (٢)
 فَلَنَالَهُ: قَدْ شَاءَهُ لَكِنْ لَنَاعَنَّهُ زَجَرَ
 إِنْ شَاءَهُ مُسْتَقْبَحًا ظَاهِرُهُ أَوْ مَا اسْتَتَرَ (٢)
 أَنْ لَوْ خَلَقْنَا فَعَلْنَا لَمْ نَحْتَقِرْ بِالْخَيْرِ شَرَّ (٣)
 أَفَلَمْ يَلِجْ مَهْوَى الشَّقَا مِنْ أَفْرَيْقُ فِي سَقَرٍ (٤)
 أَوْ قَالَ: لَيْسَ يُرِيدُ غَيْرَ الْخَيْرِ مِنْ فَعَلِ الْبَشَرِ
 وَالشَّرُّ لَيْسَ يُرِيدُهُ بَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَدْ صَدَرَ
 قُلْنَا: إِنْ الْمَوْلَى أَرَادَ وَلَمْ يَكُنْ مَا قَدْ قَدَرَ
 وَالْعَبْدُ شَاءَ خِلَافَهُ وَلِفَعْلِهِ أَمْضَى فَقَرَّ

(١) - (شا) في الأصل (شاء) وقد خففتها بحذف الهمزة مراعاة لوزن البيت ، وهذا شائع في شعر الشيخ.

- (لفعله) في الأصل (لفعل) ، وما أثبتته يستقيم مع البيت وزنا ومعنى.

(٢) (إِنْ) يظهر أنها (إِنْ) المخففة من الثقيلة عند من لم يشترط أن يليها فعل ناسخ وأجاز القياس على شواهدا كالأخفش (مغني اللبيب، ج ١، ص ٢٤) .

(٣) - الشطر الثاني جواب (لو) الواردة في الشطر الأول.

(٤) (يلج) يدخل (لسان العرب ، مادة ولج).

(فَلِذَاكَ يَغْلِبُ) رَبَّهُ هَذَا لِمَنْ إِحْدَى الْكُبْرُ (١)
 مَا لَمْ يُرْدْ تَكْوِينُهُ هَلْ كَوْنُهُ (يَلْقَى) ظَهَرَ (٢)
 مَنْ قَدْ أَطَاعَ بِمَنْهُ فَإِلَى (الْفَرَادِيسِ عِبْرَ) (٣)
 وَلَهُ الْمَشِيئَةُ فِي الْقَضَا وَلَنَا اخْتِيَارٌ وَالتَّقْوُسُ
 وَلَنَا اسْتِطَاعَةٌ مَا أَمَرَ تَقَوُّدُنَا نَحْوَ الْخَطَرِ
 وَالْعَقْلُ يَأْتِي غَيْرَ مَا يُعْتَدُّ مِنْ حَسْرِ الْخُذُرِ
 نُصِيبَتْ مَعَالِمُ السُّلُوكِ لِنَهْجِ سُبُلٍ بِالْخَيْرِ

(١) - " فلذا يغلب ربّه " في الأصل وردت (فلذا فيغلب ربّه) ولعله سهو من النساخ .

- من قوله : " قلنا إن المولى أراد " إلى قوله : " هذا لمن إحدى الكبر " أي إن أراد المولى -
 جل وعلا - الخير دون الشر من فعل البشر ، لكن العبد فعل خلاف ما أراده المولى -
 جلّ وعلا - فإن ذلك يستلزم غلبة العبد إرادة ربّه ، وهذا أمر باطل وهو من إحدى
 الكبر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) " هل كونه يلقى ظهر " الخط غير واضح في الأصل ، وكأن الاستفهام في السياق يفيد
 الإنكار ، أي إن الأمر الذي لا يريد الله كينونته هل يلقى هذا الأمر ظهوراً ومعينا
 ليكون ؟ ، و (ظَهَرَ) لغة تضبط بسكون الهاء بمعنى العَوْن (انظر أساس البلاغة ، مادة
 ظهر) وقد حركت الهاء هنا مراعاة للوزن .

(٣) الشطر الثاني بياض في الأصل فأتممته بما يتلاءم مع السياق .

وَتَوَعَّرْتُ لَكَ الْمَنَاهِجُ بِالقَوَاطِعِ إِن تَمُرَّ
مَنْ لَمْ تَقْضِ أَرْمَهُ التَّوْفِيقِ (مِنْ) ذِي مُقْتَهَر (١)
وَتَنَاهَبْتُهُ يَدُ السَّوَائِقِ كَالْهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِ (٢)
أَلْقَيْتُهُ فِي قَعْرِ سَحِيقِ لَا نَجَاةَ وَلَا وَرَزَ (٣)
خَسِرَ الْحُظُوظَ وَنَفْسَهُ وَبَكَتْ لَهُ عَيْنُ الْعَبْرِ

(١) الشطر الثاني ورد في الأصل هكذا " التوفيق أو ذي مقتهر " ولعل الأنسب أن يقال :
" من ذي مقتهر " بمعنى : من ذي اقتهار ، إذ لا معنى لـ (أو) في سياق البيت . كأن
جواب الشرط بعد البيتين التاليين في قوله : (خسر الحظوظ ونفسه) .

(٢) - (تناهبت) النهب : الغنيمة والسلب والغارة ، ويقال : " تناهبت الإبل الأرض :
أخذت بقوائمها منها أخذا كثيرا " (لسان العرب ، مادة نهب) .
- (السوائق) في الأصل السوايق ، وهي جمع ساقاة و" ساقاة مفردا سائق " (لسان العرب ،
مادة سوق) .

- (كالهشيم المحتظر) من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْمُحْتَظَرِ ﴾ (القمر / ٣١) ، و(الهشيم) : ما يبس من الورق وتكسر وتحطم ، و(المحتظر)
في الأصل (المحتضر) فصوبتها ، وهو : من يعمل الحظار أو الحظيرة للإبل أو النخل
أو نحو ذلك (انظر لسان العرب ، مادة حظر) ، وفي التفسير : هشيم المحتظر : الحطب
اليابس المتفتت . (تيسير التفسير ، ج ١٢ ، ص ٥٩٨) .

(٣) (وزر) الوزر : الملجأ (انظر لسان العرب ، مادة وزر) .

حَلَّتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ لَا تُسْتَقَالُ مَدَى الدُّهُرِ
فَلَهُ الْمَهَادُ لِحِينِهِ نَارٌ تَأْجِجُ تَسْتَعِرُ (١)
وَمُكَبِّبٌ فِي حَاجِمٍ كَالْقَصْرِ تَرْمِي بِالشَّرَرِ (٢)
وَمِنْ السَّعَادَةِ وَاجْهَتُهُ بِنَصْرِهَا وَجَدَ الظَّفَرُ
فَنَجَا وَفَازَ بِرَحْمَةٍ مَا شَابَهَا شَوْكُ الْكَدَرِ
وَعَلَى (السَّنَاءِ) مَعَارِجُ فِيهِ النَّعِيمُ قَدْ اسْتَقَرَّ (٣)
فِي دَارٍ قُدْسٍ دَامَ فِي أَنْسِ بَرِّيَّاتِ الْحَوَزِ (٤)

(١) (المهاد) : الفراش (انظر لسان العرب ، مادة مهد) ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ .

(٢) - (مكبيب) كبكه : قَلْبُهُ وَصَرَاعُهُ (انظر لسان العرب ، مادة كبب) ، من قوله تعالى : ﴿ فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء / ٩٤) .

- (حاجم) يريد بها نار جهنم - والعياذ بالله - وقد سَمَّاها حاجما ؛ لأنها مكان مانع من قولهم : " حجمته عن حاجته إذا منعه عنها " (انظر لسان العرب ، مادة حجم) .

- الشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ (المرسلات / ٣٢) .

(٣) ما بين القوسين بياض في الأصل فأتممت بهما يتلاءم مع السياق .

(٤) - (بريات) خالصات (انظر : لسان العرب ، مادة برا) .

- (الحَوَز) شدة سواد المقلة ، في شدة بياضها ، في شدة بياض الجسد (لسان العرب ، مادة حور) .

إِنْ قُلْتُ مِمَّاذَا وَذَاكَ حَارَ فِكْرِي وَالنَّظْرُ
قُلْتُ الْجَمِيعُ عَيْدُهُ وَلَهُ الْمَقْدَرُ وَالْقَدَرُ
وَلَهُ يَقْدَرُ مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ خَيْرًا وَشَرًّا
وَلَهُ الْمَالُكَ وَالْعَيْنُ وَهَلْ لَهُ فِيهِمْ ظَهْرُ؟ (١)
وَلَهُ الْمَشِيئَةُ لَوْ يَشَاءُ حَتَّى الْجَمِيعَ عَنِ الْخَطَرِ (٢)
لَكِنْ سَوَابِقُ حُكْمِهِ قَبْلَ الْمُؤَثِّرِ وَالْأَثَرِ
مَا لَمْ يُرِدْهُ فَلَا يَكُونُ وَمَا يُرِيدُ لَهُ انْهَصَرَ (٣)
عَلِمَ الْمَصِيرَ وَمَا يَصِيرُ وَوَارِدًا أَوْ مَا صَادَرَ

(١) (ظَهَرَ) لغة تضبط بسكون الهاء بمعنى العَوْن (انظر أساس البلاغة ، مادة ظهر) وقد حركت الهاء هنا مراعاة للوزن، وبعيد أن يكون المراد (ظُهِرَ) جمعاً لظهير وهو المعين، بالإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبا/ ٢٢)؛ ذلك لأن (فعيل) لا يجمع على فُعْلٍ إن كان صفة، وإنما يُجمع على فُعْلَاء أو فِعْعَال (انظر: المقتضب، ج ٢، ص ٢١٠ - المقاصد الشافية، ج ٧، ص ٦٧ - أوضح المسالك، ج ٤، ص ٢٨٤ و٢٨٨ - لسان العرب وتهذيب اللغة، مادة ظهر).

(٢) (عَنِ الْخَطَرِ) هكذا في الأصل، ولعله أراد (عَنْ) المرادفة لـ (مِنْ) (انظر مغني اللبيب، وجواهر الأدب، مادة عن).

(٣) (انْهَصَرَ) مطاوع (هصر) الذي من معانيه: أمال الشيء وجذبه (لسان العرب، مادة هصر) والمعنى السياقي: انقاد وأذعن وخضع.

مَوْلَايَ هَبْ لِي رَحْمَةً رَحْمَةً عَبْدٍ قَدْ أَقْرَ
وَبِمُلْكِكَ الْأَشْيَاءَ وَلَوْ قَدْ قَلَّ عَنْ مِثْقَالِ ذَرٍّ
خَمِدِي إِلَيْكَ كَحَمِيدٍ مَنْ بُؤْءَ (نُعْمَى) فَشَكَرَ (١)
أَوْ (مَنْ بُلِيَ فِي حَالِهِ) أَوْ فِي الذَّمَامِ وَقَدْ صَبَرَ (٢)
خُذَهَا كَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ تَهْدِي الْهُدَى فِيمَا شَجَرَ
أَوْ أَنَّهَا خَوْرَاءُ تَرُ فُلٌ بِالْحَبِيرِ مِنَ الْخَبَرِ (٣)
وَبِغْنَجِهَا تَاهَتْ دَلَا لَا زَائِهَاتُ نُورٌ زَهَرَ (٤)
وَلِشَأْنِهَا نُظِمَتْ جَوَا هَرُمَا الْجَوَاهِرُ وَالْدُرُّ (٥)

(١) (نُعْمَى) في الأصل كتبت بآلف ممدودة أو أنه أراد (نُعْمَاء) فحذف الهمزة مراعاة للوزن.

(٢) - ما بين القوسين بياض في الأصل فأتمته بما يتلاءم مع السياق.

- (الذَّمَام) من معانيه : الحق والعهد (لسان العرب ، مادة ذمم).

(٣) (تَرْفُلُ) : تجر ذيلها إذا مشت وتميس في ذلك (لسان العرب ، مادة رفل).

(٤) (بِغْنَجِهَا) الغنج : الشَّكْل ، وامرأة غنجة : حسنة الدَّل (الدَّلَال) (لسان العرب ، مادة

غنج).

(٥) (ما الجواهر والدرر؟) استفهام لإرادة التفخيم والتعظيم.

أَهْدِي الصَّلَاةَ لِشَافِعِي وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْغُرَرِ
وَكَذَا (الصَّلَاةُ) لِمَجْمَعِهِمْ وَلِمَنْ (يَأْمَنُ) بِالْقَدَرِ (١)

تمت هنا وهي مائة بيت والحمد لله على التمام ، نظمها الثقة الورع الفقيه العارف
وحيد عصره ، وفريد دهره الأخ راشد بن سيف اللمكي والحمد لله رب العالمين.

-
- (١) - ما بين القوسين في الشطر الأول بياض في الأصل فأتمته بما يتلاءم مع السياق ،
و(لجمعهم) : من معانيه الجماعة أي جماعة الآل والصحب .
- ما بين القوسين في الشطر الثاني كتبت في الأصل (يوامن) .

القصيدة الخامسة (من البحر الطويل) :

ومما قاله نظماً نَعْتُهُ لمقام كُتِبِهِ، وخزانة أسفاره الذي شَيَّده بأعلى منزله من محلة
قَصْرِي (١) من بلدة الرُّسْتاق الحميد من عُمَان المحروسة ، وذكره تشويقاً إليه
وتأريخاً لبنائه، أعاد الله رسومه، وأحيا أركانه بالعلم والطاعة، وجعلنا من خدامها
في الحياة الأولى، فقال رحمه الله :

عَلَا شَرَفًا هَذَا الْمَقَامُ وَذَكَرًا مَقَاماً بِبُطْنَانَ الْفَرَادِيسِ قُرَّارًا (٢)
لَهُ مَنَظَرٌ يَزُهُو حَكَى رَوْضَ يَبْدَخِ كَأَنَّ مِنَ النُّورِ الْمُضِيِّ تَعَمَّرًا (٣)

(١) (قَصْرِي) محلة تقع في الشمال الشرقي من قلعة الرستاق ، مقابل سوق الرستاق القديم
شرقا، ومعروفة على مر التاريخ بأنها موطن العلماء وأهل الفضل، فقد نشأ فيها الإمام
ناصر بن مرشد اليعربي، وهي مسكن العلامة خميس بن سعيد الشقصي . (للتوسع انظر:
الرستاق عبر التاريخ ، ص ٨٦).

(٢) - (ببطنان) جمع (بُطْن) و "بطنان الفراديس" أي وسطها (انظر لسان العرب ، مادة بطن).

- (الفراديس) جمع فردوس وهو البستان الواسع الحسن (أساس البلاغة ، مادة فرد).

- (قُرَّارًا) : بُتَّت (لسان العرب ، مادة قرر).

(٣) (يَبْدَخِ) : اسم امرأة .. و (البُدَخَاء) العِظَام الشئون (انظر : لسان العرب - مادة

"بدخ")، و (ببدخ) اسم نهر في الجنة، وله أسماء أخرى مثل البِيدَج و البِيدَح والسَّدَح،

ورد ذكره في حديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده رقم (١١٩٧٧)، وأخرجه

أيضا في رواية أخرى برقم (١٣٢٨٦)، ولعل هذا المعنى هو المراد.

وَبَهَجَتْهُ نُحْيِي الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا يُفُوحُ شَذَى إِنْ هَبَّ سَاحَتَهُ الصَّبَا عَلَيْهِ رُسُومٌ نُمِّقَتْ بِقَبَابِهِ رُسُومٌ كَمَسْمُوطِ اللَّالِي تَنْظَمَتْ هَارُونَقُ قَدْ زَانَهَا مَنْطِقُ الْهُدَى مَصَابِيحُهُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ نُظِمَتْ يُعَلِّلُهَا سَاقِ رَحِيقاً وَكَوْثَرَا (١) كَأَنَّ بِنَاهُ شَيْبَ مِسْكَاً وَعَنْبَرَا (٢) كَمِعْصَمِ غَيْدٍ بِالْيَوَاقِيتِ سُورَا (٣) فَرُصَّعَ بِالْعَقِيَّانِ سَطْرًا مُدَوَّرَا (٤) كَمَا زَانَ نُطْقاً بِالمَوَاعِظِ قُرَّرَا تَلَامَعُ مَا الْمَنْظُومُ دُرّاً وَجَوْهَرَا

(١) (يُعَلِّلُهَا) عَلَّلَ فلانا بطعام وغيره : هَاهُ وشغله به (انظر لسان العرب ، مادة علل).

(٢) - (بُنَاهُ) البنى (بكسر الباء وضمها) مقصورا : البناء (لسان العرب ، مادة بني).

- (شَيْبَ) خُلِطَ (لسان العرب ، مادة شوب).

(٣) (غَيْدٍ) جمع غيداء ، وهي المرأة المتشينة من اللين (لسان العرب ، مادة غيد).

(٤) (العَقِيَّانِ) عَقِيَّان : فِعْلَان أو فِعْيَال وهو الذهب الخالص (لسان العرب ، مادة عقي-عقن).

فَحَيِّي بِتَسْلِيمٍ وَأَلِثِمِ لِرُكْنِهِ كَلِّثِمِ مُحِبًّا مِنْ حَبِيبٍ تَعَطَّرَا
وَحُرَّ عَلَى الْأَذْقَانِ فِيهِ مُسَبِّحًا بِحَمْدِ الَّذِي أَوْلَاكَ (نُعْمَى) وَكَبَّرَا (١)
أَدْمِنِي عَلَى التَّقْوَى إِلَهِي مُؤَرِّخًا مَقَامِي عَلَى الْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَصَوَّرَا (٢)

(١) - (نُعْمَى) في الأصل كتبت بألف ممدودة أو أنه أراد (نُعْمَاء) فحذف الهمزة مراعاة للوزن.

- (كَبَّرَا) بكسر الباء المشددة من التكبير ، وهو قول : (الله أكبر) ، أو بفتحها بمعنى

جعلك كبيرا.

(٢) يوافق بحساب الجمل عام ١٣٣٠ هـ تقريبا.

القصيدة السادسة (من البحر الطويل) :

قصيدة في عتاب فلج "المحيول" (١)

أَيَا فَلَجَ الْمَحْيُولِ ضَيَّقْتَ لِي صَدْرِي	وَكُلُّ وَصَالٍ صِرْتَ تَجْزِيهِ بِالْهَجْرِ
وَمَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مَا فِيكَ مُرْبِحٌ	يُرْجَى وَلَا تُجَحُّ عَلَى عَادَةِ النَّهْرِ
إِذَا أَنْ وَقْتُ مِنْ ثَمَارٍ تَلَوْنَتْ	خَسَائِرَ يُمَسِّي كَفْنَا مِنْكَ ذَا صِفْرِ (٢)
إِذَا مَا شِتَاءٌ أَنْ هَبَّتْ زَعَاذُ	الرِّيَّاحِ كَمَا هَبَّتْ لِعَادِ أُوْلِي الْكُفْرِ
عَلَيْهَا غَمَامٌ يَحْبِسُ الْجَوَّ ظُلْمَةً	فَمَا مَلَجَأٌ إِلَّا هَشِيمٌ مِنَ السُّدْرِ
وَإِنْ أَنْ حَرٌّ بَاشَرْتَنَا سَمُومُهُ	كَأَنَّ بِهَا النَّيْرَانَ شَبَّتْ مِنَ الْجَمْرِ
ثَمَارُكَ مِنْهُ فُلْفُلٌ كَادَ أَكْلُهُ	يُقَطَّعُ لِلْأُمَمَاءِ كَالْأَلَمِ الصَّدْرِي (٣)

(١) (المحيول) : اسم لبستان واقع على الضفة الشمالية من وادي الفرعي، مقابل بلدة الجزيرة

حاليا بولاية الرستاق، ويُسمى به أماكن عدة بالسلطنة كما في منطقة الظاهرة مثلا.

(٢) (كفنا) : الأصل في (الكف) التأنيث وقد وردت في البيت مذكرة في خبر يمسي (ذا)

للضرورة .

(٣) (فُلْفُلٌ) " بضم الفاءين من الأبزار ، قالوا : ولا يجوز فيه الكسر " (المصباح المنير، مادة فلفل).

وَبَضِّلْ إِذَا اسْتَنْشَقْتَهُ أَوْ أَكَلْتَهُ يُوَلِّدُ (زَخْمًا) زَادَ عَنْ زَخْمَةِ الصَّيْرِ (١)
 وَفُجِّلْ يُفَشِّي الْعَيْنَ وَالْأَنْفَ بِالْجُشَا وَمَغْصًا وَقَوْلُنْجًا وَدَاءً مِنَ الْحَضْرِ (٢)
 فَمَا الثُّومُ إِلَّا مُكْرِبٌ وَمُصَدِّعٌ عَلَى الرَّأْسِ مَا يُبْرِئُهُ شَيْءٌ سِوَى الصَّيْرِ (٣)

(١) - (زَخْمًا) زَخِمَ زَخْمًا ، وفيه زَخْمَةٌ : الرائحة الكريهة (لسان العرب ، مادة زخم).

- (الصَّيْرِ) : عصارة شجر مرّ ، واحده (صَيْرَة) ، والجمع صُبُور ، ولا يسكن إلا في
 ضرورة الشعر (لسان العرب ، مادة صبر).

(٢) - (يُفَشِّي) : يوسّع وينشر (لسان العرب ، مادة).

- (قَوْلُنْجًا) : القَوْلَنْج : أعجمية ، وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللام ، ويفتح القاف
 ويضمّ ، مرض مشهور معويّ مؤلم جدا، يعسر فيه خروج الثفل والريح (تاج
 العروس من جواهر القاموس، مادة قلعج) وفي المصباح المنير : القَوْلَنْج : بفتح اللام
 وجع في المعى المسمّى (قولن) بضم اللام وهو شدة المَغَص (المصباح المنير ، مادة "
 قولنج ").

(٣) (يُبْرِئُهُ) يريد (يُبْرِئُهُ) ، أو أُنْهَا (يُبْرِئُهُ) من براه برّيا بمعنى يُضْعِفُهُ ؛ وذلك كقولهم :
 براه السفر بمعنى هزّله (لسان العرب ، مادة بري).

وَإِنْ جَلْتِ فِي سَاحَاتِهِ مُتَفَرِّجاً فَحَافِظٌ عَلَى الْأَقْدَامِ مِنْ شَوْكَةِ السَّمْرِ (١)
فَمَا فِيهِ إِلَّا مَسْجِدٌ قُرْبَ نَهْرِهِ تَقَرُّبُهُ عَيْنِي وَيَشْرَحُ لِي صَدْرِي
يُؤَاصِلُنِي فِيهِ أَخُو الْعِلْمِ وَالْحِجَا وَأَرْبَحُ شَيْءٌ لِي مُوَاصَلَةُ الْحَزْرِ (٢)
فَهَذَا وَصَلَّى اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا عَلَى الْمُجْتَبَى وَالصَّحْبِ ذِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ

(١) (السَّمْرُ) تضبط لغة بضم الميم لكنها سكنت في هذا البيت مراعاة للوزن.

(٢) (الحِجَا): العقل والفتنة (لسان العرب ، مادة حجا).

القصيدة السابعة (من البحر الطويل) :

قصيدة في مدح فلج " المَحْيُول "

أَيَا فَلَجَ السَّمْعُومِ هُنَيْتَ بِالْبَشْرِ
وَجُنَّبْتَ مِنْ عَيْبٍ وَسَلَّمْتَ مِنْ أَذَى
وَبُرِّئْتَ مِنْ شَرٍّ وَحُيِّتَ بِالْحَيَا
وَأَحْرَزْتَ مَنَعاً مِنْ رَزَايَا مُلَمَّةٍ
وَعُطِّرْتَ مِنْ نَشْرِ الرِّيَّاحِينَ عَرَفِهِ
وَرَيَّحَانُهُ إِنْ بِالنَّسِيمِ تَمَاسَّتْ
وَقَدْ أَيْنَعَتْ أَثْمَارُهُ بِتَلَوْنٍ
فَتَيْنٌ وَكَرْمٌ يَانِعٌ وَسَفَرَجَلٌ
وَوُقِّيتَ مِنْ جَذْبٍ وَحُصِّنْتَ مِنْ ضَرٍّ (١)
وَبُورِكْتَ عُمْرِي مَا بَقِيَتْ مَدَى الدَّهْرِ
لِتَحْيَا وَتُورُ الزَّهْرِ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وُسُلِّمْتَ مِنْ كَيْدِ الْبَلَايَا وَمِنْ شَرٍّ
يَفُوحُ شَذَى مَا الْمِسْكُ مَا طَيِّبُ النَّشْرِ (٢)
تَحَايَلَهَا كَالْمَوْجِ فِي زَاخِرِ الْبَحْرِ (٣)
فَذَا أَحْمَرُ قَانٍ وَذَا بَاسِمُ الزُّهْرِ
وَطَلَحَ وَزَيْتُونٌ وَنَبَقٌ مِنَ السِّدْرِ (٤)

(١) (الْمَعْمُورُ) : لعله أراد (المحيول)، أو قصد وَصَفَ (المحيول) بالمعمور لأنه أصبح معموراً بالخصب.

(٢) - (عَرَفِهِ) : العَرَفَ : الرائحة الطيبة (لسان العرب ، مادة عرف).

- (مَا الْمِسْكُ مَا طَيِّبُ النَّشْرِ) استفهام لإرادة التفعيم والتعظيم.

(٣) (تَمَاسَّتْ) ماست تماس ميسا إذا تبخترت في مشيتها وتثنَّت (لسان العرب ، مادة ميس).

(٤) (زَيْتُونٌ) يريد به فاكهة الجَوَافَةِ المعروفة ، وقد جرى العرف في بلدنا على تسمية هذه الفاكهة بالزيتون.

وَإِنْ هَبَّتِ النَّسَمَا يُفْوَحُ بِنَفْسَجٍ وَوَرْدٌ وَأَسٌّ وَالرَّيَاحِينُ ذُو الزَّهْرِ (١)
 وَأَسْوَدٌ غَرِيبٌ بِأَخْدَاقِ زَهْرِهِ كَأَخْدَاقِ حُورٍ قَدْ تَجَلَّتْ مِنَ الْخَذَرِ (٢)
 فَذَا يُنْعِشُ الْأَزْوَاحَ مِنْ طِيبِ نَشْرِهِ وَذَا يَنْبَعُثُ الْأَفْرَاحَ إِنْ فَاحَ بِالْعَطْرِ (٣)
 وَذَا سِرُّهُ يَجْلُو الْقُلُوبَ مِنَ الصَّدَا وَذَا أَكْلُهُ يَشْفِي السَّقِيمَ مَدَى الْعُمُرِ
 وَإِنْ صَدَحَتْ أَطْيَارُهُ بِتَأَوُّبٍ مَزَامِيرُ دَاوُدَ عَلَى حَضْرَةِ الذَّكْرِ (٤)
 مُجَاوِبُهَا الشُّمُّ الرِّوَايَ تَأَوُّباً وَحُسْنُ الْفَلَاحِ كَالنَّائِحَاتِ عَلَى الْوَكْرِ
 يَصُبُّ عَلَى الْحَيْطَانِ مَاءٌ بِكَثْرَةٍ نَمِيرٌ وَعَذْبٌ قَدْ حَكَى مَاءَ كَوْثَرِ (٥)
 يُشْرِفُهُ بَيْتُ الْإِلَهِ وَصَرُّهُ الْمَمَرْدُ وَالْحَيْطَانُ رُصَّعْنَ بِالتَّيْرِ

(١) (بَنَفْسَجٍ) نبات زهري من جنس (فيولا) من الفصيلة البنفسجية يزرع للزينة ولزهوره،
 عطر الرائحة (المعجم الوسيط ، مادة بنفسج)، وهو أيضا موجود في عُمان (انظر:
 الأزهار البرية لعمان الشمالية، ص ١٥).

(٢) (غَرِيبٌ) : شديد السواد (لسان العرب ، مادة).

(٣) (الصَّدَا) أصله الصَّدَا ، وهو كدرة تعلو وجه الشيء ، والصَّدَا من الحديد وسخه (لسان
 العرب ، مادة صدا).

(٤) (تَأَوُّبٍ) تسبيح (لسان العرب ، مادة أوب)، وهذا البيت والذي يليه يشير إلى قوله تعالى :
 ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ (سبا / ١٠).

(٥) (نَمِيرٌ) النمير من الماء : العذب الهنيء المسمن الناجع (العين ، ماء نمر).

مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ حَفَّتْ بِمَنْ بِهِ فَيَعْمَدُ لِلْمَوْتِ وَيَتَلَوُّ مِنَ الذِّكْرِ
 وَقَدْ زَادَ بَيْتُ اللَّهِ تَشْرِيفَهُ عَلَى الْجَلَالَةِ تَشْرِيفاً بِهِ لِعُلا الْقَدْرِ
 بِهِ جَمَعَ مِنْ كُلِّ حَيْرٍ وَعَابِدٍ تَعَاطَوْا كُؤُوسَ الْحُبِّ كَالْعَسَلِ الْحَمْرِ
 لَهُمْ هَيْنَاتُ الذِّكْرِ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَنَوْحُ الثَّكَالِ وَالْدُّمُوعُ دَمًا تَجْرِي (١)
 فَمِنْهُمْ عَلَى شَرِّعٍ يَهْدُبُ أَنْفُسًا وَمِنْهُمْ عَلَى نَحْوٍ وَفِي عَيْشِهِ السُّكْرِ
 وَمِنْهُمْ عَلَى التَّجْوِيدِ قَامَ وَمِنْهُمْ اسْتَقَامَ عَلَى التَّوْحِيدِ مُسْتَغْرِقَ الْفِكْرِ

(١) (هَيْنَاتٌ) جمع هينة ، وهي الكلام الخفي وقيل الصوت الخفي (لسان العرب ، مادة هنم).

القصيدة الثامنة (من البحر الطويل) :

دعاء الشيخ راشد بن سيف اللمكي

إِلَهِي إِلَيْكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَا	قَدِيرٌ وَعَلَامٌ بَصِيرٌ وَسَامِعٌ
إِلَهِي وَسِعْتَ الْكَوْنَ عِلْمًا وَرَحْمَةً	تُسَبِّحُكَ الْأَكْوَانُ فَالْكُلُّ خَاضِعٌ
إِلَهِي مُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَمُذِلُّ مَنْ	تَشَاءُ وَمُعْطٍ مَنْ تَشَاءُ وَمَانِعٌ
إِلَهِي عَيْدٌ قَامَ يَدْعُوكَ ضَارِعًا	أَسِيرٌ ذُنُوبٍ مِنْ عِقَابِكَ جَازِعٌ
إِلَهِي وَأَدْعُو بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي	لَأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى مُحِيطٌ وَجَامِعٌ
إِلَهِي تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَامْحُ حَوْبَتِي	فَإِنِّي مُنِيبٌ تَائِبٌ لَكَ رَاجِعٌ
إِلَهِي أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَاعْفُ زَلَّتِي	وَيَسِّرْ لِعُسْرِي إِنَّ فَضْلَكَ وَاسِعٌ
إِلَهِي أَجْرِنِي مِنْ عَذَابِكَ وَاجْعَلِ الرَّ	سُولَ شَفِيعِي إِذْ بِإِذْنِكَ شَافِعٌ
إِلَهِي وَأَخِينِي مُعَافَاً مُكْرَمًا	رَفِيعًا عَنِ الْأَعْدَا فَعِزُّكَ رَافِعٌ
إِلَهِي وَابْسُطْ لِي نَوَالًا وَأَوْلِنِي	مَوَاهِبَ الْطَّافِ فَجُودُكَ هَامِعٌ (١)

(١) (هَامِعٌ) هَمَعَ الدمعُ والماءُ: سال ، وسحاب هَمَعٌ : ماطر (لسان العرب ، مادة همع).

إِلَهِي وَأَغْنِنِي بِوَاسِعِ رِزْقِكَ الْـ	جَلالِ بِلا سَعِي فَسَعِي ضَائِعُ
إِلَهِي وَعَلِّمْنِي الشَّرِيعَةَ وَاهْدِنِي الْـ	حَقِيقَةَ إِنِّي فِي رَضَائِكَ طَامِعُ
إِلَهِي وَأَلْهَمْنِي عُلُومًا خَفِيَّةَ	بِأَنْوَارِ سِرِّ اسْمِ بِهِ النُّورُ سَاطِعُ
إِلَهِي وَانْهَجْ بِي السَّبِيلَ لِسَائِرِ الْـ	عُلُومٍ فَفِيهَا لِلْقُلُوبِ مَنَافِعُ
إِلَهِي وَأَشْهَدْنِي مِنَ الْكُونِ بَاهِرَ الْـ	عَجَائِبِ إِشْهَادِ الْفَنَاءِ فَهُوَ قَاطِعُ (١)
إِلَهِي وَاجْذِبْنِي لَوْضَلِكِ وَأَفْنِ لِي	قَبِيحَ صَفَاتِي إِنَّهَا لِي خَدَائِعُ
إِلَهِي وَصَلِّ لِلرَّسُولِ وَآلِهِ	وَكُلِّ الَّذِي مَن هُوَ لِلْحَقِّ تَابِعُ

(١) هذا البيت ورد في الأصل مكرراً.

القصيدة التاسعة (من البحر المتقارب) :

وعنه في "نعوت الأخلاق المرضية"

لَكَ الْفَوْزُ لَكِنْ بِخُلُقٍ كَمُلْ	تَقَلَّدَ عَقْدًا بِحُسْنِ الْعَمَلِ
تَغَشَّى بِسِتْرِ الْحَيَا لَا بِسَاءَ	شِعَارَ الصَّلَاحِ بِتَرْكِ الزَّلَلِ
صَدُوقَ اللِّسَانِ قَلِيلَ الْكَلَامِ	قَلِيلَ الْفُضُولِ بِقُبْحِ الْهَزَلِ
وَصُولاَ وَقُوراً رَفِيفُ الْأَذَى	شُكُوراً صَبُوراً إِذَا الْخَطْبُ جَلَّ
وَبَرّاً رَفِيقاً عَفِيفاً شَفِيفاً	حَلِيفاً رَضِيفاً بِمَا قَدْ نَزَلَ
هَشُوشاً بِشُوشٍ أَنْزِيهاً عَنِ	النَّمِيمَةِ أَوْ غِيبةٍ تُبْتَذَلُ (١)
جَنِيهاً لِحَقْدٍ وَسَبٍّ وَلَعْنٍ	وَبُخْلِ وَمِنْ حَسَدٍ أَوْ عَجَلِ
مُحِبٍّ وَتُبْغِضُ فِي اللَّهِ حَقّاً	وَتَرْضَى وَتَغْضَبُ لَا فِي مَهْلٍ
وَأَذْنَاهُ قِيلَ اخْتِمَالُ الْأَذَى	وَتَرْكُ مُكَافَاةٍ مَنْ فِيكَ زَلْ
وَشُغْلُكَ بِالنَّفْسِ عَنْ عَيْبِ مَنْ	سِوَاكَ وَهَذَا بِهِ قَدْ كَمُلْ
وَعُنْوَانُ سِرِّ التَّقَى رَفُضُ مَا	يُدْنِيكَ زُهْداً بِقَضْرِ الْأَمَلِ

(١) (هَشُوشاً) رجل هَشَّ وهشَّش : بَشَّ مهتر (خفيف) مسرور (لسان العرب ، مادة هَشَّش).

القصيدة العاشرة (من البحر الرجز) :

وقال - رحمه الله - منظومة أسردها بسلك النظام؛ تنبيهها لمن استبدل عن اليقظة
بالمنام، واستغرق وقته فيه بالليالي والأيام؛ مستلذا بما يطوف عليه به من خيال
وأحلام، وقد نبهنا على منافعه ومضاره على أقسام، وذكرنا ما يستحب فيه من
اليقظة للأنام؛ للتجرد والتشمير للعمل، قبل فلول شمس الأجل ، والحمد لله على
نعمة الإسلام:

قُلْتُ وَقَوْنِي قَدْ عَرَى مِنَ الزَّلَلِ وَعَلِلِ الْمَيْنِ وَهَذِيَانِ الْهَزَلِ (١)
مَنْ أَلِفَ النَّوْمَ تَرَدَّى بِالْكَسَلِ فَكَمْ بِهِ مُسْتَبْسِلٌ مَنْ قَدْ بَسَلَ (٢)
وَيُورِثُ الْبَخْرَ وَأَذْوَاءَ السَّبَلِ مُحَدَّرُ الْأَعْصَا كَتَّخْدِيرِ الشَّلَلِ (٣)

(١) (المين) الكذب (لسان العرب ، مادة مان).

(٢) - (مستبسِل) من يوطن نفسه على الموت والضرب، أو بمعنى (استقتل) وهو من يطرح
نفسه في الحرب يريد أن يُقْتَلَ أو يُقْتَلَ لا محالة (لسان العرب ، مادة بسل).

- (بسل) يعني الشدة والشجاعة (لسان العرب ، مادة بسل).

(٣) - (البخر) : الرائحة المتغيرة في الفم ، أو هي كل رائحة سطعت من نتن أو غيره (لسان
العرب ، مادة بخر).

- (السَّبَل) : داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمراء (لسان العرب ، مادة
سبل).

وَقَاطِعُ التَّجْرِيدِ عَنْ جِدِّ الْعَمَلِ مَفُوتُ آمَالِ كُلِّ ذِي (مَلَلٍ) (١)
وَهُوَ أَخُو الْمَوْتِ وَمَضْمَارُ الْعِلَلِ وَعُمُرُ النَّائِمِ يَمْضِي فِي عَجَلٍ
فَكَمْ فَتَى ذِمْرًا بِأَسْرِهِ انْخَذَلَ وَبَدَلَ الْأَمْنِ عَلَيْهِ بِالْوَجَلِ (٢)
لَوْ كَانَ كَالْبَذْرِ بِهِ النُّورُ كَمُلَ إِنَّ أَدَمْنَ النَّوْمَ كَأَنَّهُ أَفْلَ
يَغْشَى ضِيَا الْوَجْهِ ضَلَالًا كَالطُّفْلِ لَوْ كَانَ بِالنَّوْمِ مَعَاشٌ ذُو تَهَلٍ (٣)
أَوْضَحَهُ الْوَحْيُ بِمَا مِنْهُ نَزَلَ عَلَى نَيْتٍ مِنْ اللَّهِ الْأَجَلَ (٤)
فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ صَلاَحٍ يُحْتَمَلُ إِلَّا لِعَامِلٍ تَغَشَّاهُ الْمَلَلُ

-
- (١) (ملل) هكذا وردت في الأصل، ولعله سهو من النساخ؛ فالأنسق أن تكون (أمل).
(٢) (ذمر) : شجاع (لسان العرب، مادة ذمر).
(٣) (الطفل) : الليل (لسان العرب، مادة طفل).
(٤) (أوضحه الوحي...) جواب (لو) الشرطية الواردة في البيت السابق.

وَحَكَمَ الطَّبِّ مَقَالَهُمْ شَمِلَ مَا مِنْهُ مُحْمُودٌ وَمَا مِنْهُ الثَّمَلُ (١)
 مَنْ نَامَ سَاعَةَ الْمَقِيلِ يَجْتَذِلُ بِالصَّيْفِ تَخْصِيصاً بِهِ لِمَنْ عَقَلَ (٢)
 وَسِتُّ سَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ اتَّصَلَ إِلَى ثَمَانٍ لَا يَزِدُ مَنْ امْتَثَلَ
 وَبِالْغَدَاةِ يُطَبِّقُ السُّقْمُ وَهَلْ مِنْ صِحَّةٍ إِلَّا بِهَا الرِّزْقُ انْبَثَلَ
 وَبِالرَّوَّاحِ دَا الْجُنُونِ وَالْحَبَلُ أَوْ نَامَ مَا بَيْنَ الْعِشَائِنِ غَفَلَ (٣)

(١) (الثَّمَلُ) : المقام والحفض (الدَّعة في العيش)، ومن معانيه : الملجأ والغيث (لسان العرب، مادة ثمل)، ويُحتمل في (ما) أن تكون نافية أو موصولة ، وعلى الأول فالنوم لا يُحمد فيه شيء ولا يُلجأ إليه ، وهذا المعنى تأكيد لما ذُكر في البيت السابق (فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ صَلاَحٍ يُجْتَمَلُ)، والذي حَمَلَ الشاعر على هذا النفي شدة إنكاره على من أَلِفَ النوم كما يتضح في الأبيات السابقة، وعلى الثاني - وهو الأقرب - فالمعنى أن حكماء الطب قد فصلوا قولهم في النوم بنوعيه : ما كان منه قليل (وهو المحمود) الذي سيرد ذكره في الأبيات التالية ، وما كان منه كثير مذموم صادر عن دَعَاة وهو (الثَّمَلُ) وقد سبق الحديث عنه فيما مضى من أبيات.

(٢) (يجتذِلُ) : يبتهج (لسان العرب ، مادة جذل).

(٣) - (دا) يريد (داء) فحذف الهمزة لمراعاة الوزن.

- (الحَبَلُ) : الجنون أو شبهه (لسان العرب ، مادة خبل).

فصل

أَمْ حَسِبَ الْمَرْءُ بِتَرْكِهِ هُمْلًا سَيَّانَ فِي ذُنْيَاهُ جَارًا أَوْ عَدَلًا
فَإِنَّمَا وَرَاءَهُ أَمْرٌ جَلَلٌ أَثْقَلُ مِنْ حِمْلِ السَّمَاءِ وَالْقُلُلِ (١)
يَنْهَدُ مِنْ أَهْوَالِهِ أَرْسَى جَبَلٍ وَيَضَعُ الْأَلْبَابَ بِانْقِضَا الْأَجَلِ
إِلَّا عَلَى عَبْدٍ عَنِ الدُّنْيَا اعْتَزَلُ وَقَيْدَ النَّفْسِ بِتَقْصِيرِ الْأَمَلِ
وَذَابَ مِنْ خَوْفِ الْإِلَهِ وَازْدَمَلُ وَاحْتَالَ فِي نَجَاتِهِ كُلُّ الْحَيْلِ (٢)
فَهَذِهِ الدُّنْيَا تَقْضِيهَا دَوْلُ وَالنَّاسُ أَطْوَارُ فَمَنْ كَانَ ابْتَهَلُ
مُرَاقِبًا فِي اللَّهِ مَا دَقَّ وَجَلُّ أَسَاغَ كَأْسِ الْحُبِّ صِرْفًا بِالْعَلَلِ (٣)

(١) (الْقُلُل) : جمع قُلَّة وهي أعلى الجبل (لسان العرب ، مادة قلل)، وهنا يريد الجبل عموماً وهو من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) (ازدمل) : احتمل الشيء كله مرة واحدة (لسان العرب ، مادة زمل).

(٣) (الْعَلَل) الشُّرْب تباعاً (لسان العرب ، مادة علل).

قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لِنُورِهِ الْمَثْلَ فَهُوَ الْهُدَى مِضْبَاحُهُ إِنْ اشْتَعَلَ
يُوقِظُ وَسَنَانَ الْقُلُوبِ بِالْعَمَلِ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينِ وَالِدَغْلَ (١)
فَجَرَّدَ الْعِزَّمَ وَدَعَّ عَنْكَ الْفَشْلَ مُشَمَّرًا كَالْقِدْحِ غَيْرِ ذِي مَيْلٍ (٢)
وَصَايِرِ الدَّهْرِ وَخَاذِرِ الزَّلْلِ وَاعْتَدَّ لِلزَّادِ بِأَيَّامِ الْمَهْلِ (٣)
وَالزَّمَ أَدَا الْمَفْرُوضِ مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ فَالذِّينُ لَا يُقْبَلُ إِلَّا إِنْ كَمُلَ

(١) (الدَّغْلُ) : الفساد، الحقد المكتتم (لسان العرب ، مادة دغل).

(٢) - (القِدْح) السهم قبل أن يُنْصَلَ ويُراش أو هو العود إذا بلغ فشُدَّب عنه الغُصْنُ وقُطِعَ

على مقدار النبل الذي يراد من الطول والقصر (لسان العرب ، مادة قدح).

- (مَيْل) بفتح الياء : العدول خِلْقَةً ، أما بسكونها فهو العدول حادثاً (لسان العرب ،

مادة ميل)، والمعنى الأول هو المراد؛ فهو يحث المرء على أن يكون مستقيماً بخلقه

وطبيعته كالسهم لا اعوجاج فيه، وفي ذلك يقول العلامة ابن النضر - رحمه الله - في

لاميته واصفا المعرض عن الدنيا إلى الآخرة :

لم يلتفت منها إلى تمولٍ ولا إلى حفظ ولا تمهلٍ

إلا إلى دار وشيك أرحلٍ مشمر كالقدح غير أميلٍ

("مخطوط" : كتاب الشيخ أحمد بن النضر الدعائم واللامية المنسوبة إليه، ص ١٧٦)

(٣) (اعتدّ) : اعتدّ الشيء : أحضره (لسان العرب ، مادة عدد).

القصيدة الحادية عشرة (من البحر الرمل) :

وله هذه المنظومة الغرامية * في ذكر الكأس من شمول العرفان المبلغ لمنزل
الرضوان، قال :

أَنْدِيمَ الْحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَسْلُو	زَفَرَاتٌ وَجَدُهُ بِالرُّوحِ تَغْلُو (١)
أَيُّهَا التَّائِقُ فِي كَأْسِ الْهَوَى	فَانْتَهَلُهُ فِيهِ هَذَا اللَّيْلِ يَحْلُو
وَبِهِ الْأَجْسَامُ صَارَتْ لِلْفَنَاءِ	قَدْ بَرَاهَا مِنْهُ إِنْهَالٌ وَعَلُّ
وَبِهِ الرُّوحُ عَلَتْ فِي مَعْرِجٍ	وَانْتَهَتْ فِي حَضْرَةِ يُحْظِيهَا وَضَلُّ
وَبِهِ نَارُ الْغَرَامِ أُجْجَتْ	فِي الْحَشَا مَا الْحُبُّ إِنْ جَرَبْتَ سَهْلُ
لَوْ تَكُنْ نَارُ الْعَذَابِ لَحَبَّتْ	وَالْهَوَى نَارٌ بِهِ مَا عَنْهُ تَحْلُو
لَوْ تَرَى التَّعْذِيبَ فِيهِ قُلْتَ : آه	وَاحْيِيَّ فِي الْهَوَى أَرْدَاهُ قَتْلُ
مُهَجَّتِي ذُوْبِي عَلَيْهِ أَسْفَا	وَاعْذُلِيهِ عَلَيْهِ يُجْدِيهِ عَذْلُ

* أكثر المصطلحات الصوفية التي سترد في هذه القصيدة السلوكية قد سبق توضيحها في هامش القصيدة السلوكية السابقة التي مطلعها "أَسِيرُ الْحُبِّ يَنْحُو".

(١) (تَغْلُو) غلا الشيء : زاد وارتفع وجاوز الحد، مأخوذ من: غلا السعر (لسان العرب ، مادة غلو).

أَيُّمُ وَاللَّهِ وَلَوْ صَارَ رَثِيٌّ مَا لَهُ عَنْ قَتْلِهِ فِي ذَاكَ سُبُلُ (١)
 مَنْ يَلْمُهُ فَلْيَذُقْ فِي نَهْلِهِ أَوْ يَذَرُهُ فَلِذَاكَ النَّهْلُ أَهْلُ
 فِدَمَا الْعُشَّاقِ فِي شَرِّعِ الْهَوَى كُلُّهَا فِي حُكْمِهِمْ هَذَرٌ وَطَلُّ (٢)
 بِنَهَارِ صَوْمِهِمْ حَلٌّ لَهُمْ شُرْبُهُمْ فِي وَطَنِ وَالْحُكْمُ عَذْلُ (٣)
 وَلَهُمْ فِي عَرَفَاتٍ حَجَّهِمْ مُلْتَقَى أَحْبَابِهِمْ وَالذَّبْحُ حِلُّ (٤)

(١) (رَثِيٌّ) من رَثِيَّ رَثِيًّا ورَثِيٌّ : أصابته الرثية (بسكون الثاء وكسرهما)، وهي الضَّعْف والفتور (لسان العرب، مادة رثا).

(٢) (طَلُّ) طَلَّ دم القَتِيل : هدر وبطل ، ولم يثأر به ، ولم تؤخذ ديتُهُ (لسان العرب ، مادة طلل).

(٣) (شُرْبُهُمْ) : (الشُّرْب) في الاصطلاح الصوفي : أوسط التجليات التي غايتها في كل مقام (التعريفات، ص ٢٧٥)

(٤) (حَجَّهِمْ) : (الحَجَّ) في الاصطلاح الصوفي : " المقصود من الحج ليس رؤية البيت ، وإنما كشف المشاهدة " و" المشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء ، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك " (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة حج - ومادة مشاهدة).

وَبِهَا حَلَّتْ صَلَاةٌ قَطَعَهَا مِنْ حَبِيبٍ مَا بِهِ يَسْلَمُ عَقْلُ (١)
 إِنَّمَا يَغْدُبُ تَغْذِيْبِي بِمَا دُونَ نَارِ الْهَجْرِ لَوْ بِالْوَصْلِ مَطْلُ (٢)
 عَذُّوا رُوحِي تَرَوْنِي جَلْدًا كَيْفَ لَا وَالْحُبُّ بِالتَّغْذِيْبِ يَبْلُو (٣)
 لَوْ تَرَى مِنْ صَعَقَاتٍ زَلَزَلْتُ لِعُقُوبٍ قُلْتُ فَالْعُشَّاقُ جُهْلُ (٤)

- (١) (صَلَاةٌ): (الصَّلَاة) في الاصطلاح الصوفي: "التجريد من العلائق، والتفريد بالحقائق، العلائق ما سوى الله، والحقائق ما لله ومن الله" كما أن هذا المصطلح يرد لمعنيين آخرين: "أحدهما: تَلَهَّى النفس بالنظر والاستماع فيه. والآخر: يسكن فيه الجوارح وينقطع فيه اللهو، ويمكن فيه الفهم..." (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مادة صلاة).
- (٢) (مَطْلٌ) مَطَلْ فلانا حَقَّه وبحَقَّه: أَجَل موعِد الوفاء به مرة بعد الأخرى (لسان العرب، مادة مطل).
- (٢) (يَبْلُو) لعل السياق يلائمه أن يكون الفعل مبنيًا للمجهول فيقال: (يُبْلَى) أي يُخْتَبَر صدق الحب بالتعذيب، لكن مراعاة لحرف الرّوي بني الفعل للمعلوم.
- (٤) - (صَعَقَاتٍ): (الصَّعَق) في الاصطلاح الصوفي: "الفناء عند التجلي" (التعريفات، ص ٢٨٠. و موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مادة صعق)، وتوضيحاً لهذا التعريف فـ(الفناء) في الاصطلاح الصوفي هو: "رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك" (التعريفات، ص ٢٧٤) أما (التجلي) فهو: "ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب" (التعريفات، ص ٢٧٧).
- (جُهْلٌ) على وزن (فُعْلٌ) إمّا لأنها صيغة مبالغة غير قياسية مثل (عُفْلٌ)، وإمّا لأنها صفة مشبهة من (فَعِل) مثل (حُرٌّ) من (حَرَر).

وَبِجْمَعٍ مِنْ أُولَى الْجَمْعِ بِهِ مَجْمَعٌ فِيهِ لَا يِ الْعِشْقِ يَتَلَوُ
 إِنْ تَلَقَّى فَهَمَّهَا الْعُشَّاقُ إِيهِ كُلُّهُمْ مِنْ نَشْوَةِ الْمَفْهُومِ ثُمْلُ (١)
 وَهُمْ مَشْعَرٌ فِيهِ أَشْعِرَتْ (حُرْمَاتٌ) فِعْلُهَا فِي الشَّرْعِ حِلُّ (٢)
 حَكَمُوا فِيهَا حُدُودًا عَفُوهَا حَرَمُوهُ مَذْهَبًا لَوْ فِيهِ فَضْلُ (٣)

(١) (إِنْ تَلَقَّى فَهَمَّهَا الْعُشَّاقُ إِيهِ) : (إِيهِ) اسم فعل أمر بمعنى "زدني من الحديث"، وجواب الشرط (إِنْ تَلَقَّى) محذوف تقديره (قالوا إِيهِ)، وقد يتبادر إلى الذهن أن (إِيهِ) في الأصل (آية) وأنها جاءت تمييزاً للضمير في (فهمها) من قبيل الإضمار على نية التفسير، لكن السياق لا يقتضي ذلك، والأنسب ما ذكرته أولاً، والضمير في (فهمها) عائد إلى (آي العشق) في البيت السابق.

(٢) - (أَشْعِرَتْ) (أَشْعِرَ الْأَمْرَ : أذاعه (لسان العرب، مادة شعر).

- (حُرْمَاتٌ) بالراء المهملة، وفي الأصل (حُرْمَاتٌ) بالزاي المعجمة، ولعله سهو من النساخ

(٣) - (حُدُودًا) : (الْحَدُّ) في الاصطلاح الصوفي : "الفصل بينك وبينه" (التعريفات، ص ٢٨٣ وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مادة حَدَّ).

- (عَفُوهَا) : (العَفْو) في الاصطلاح الصوفي : "أن يستحق حقاً فيسقطه، ويبري عنه من قصاص أو غرامة" (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مادة عَفْو).

وَمَنَّا هُمْ مُنِيَّةُ الْبَسْطِ بِهَا لَكِنَّ الْقَبْضَ انْفِصَالٌ وَهُوَ وَضَلٌ (١)
لَوْ عَلَى الْبَسْطِ انْبِسَاطٌ بَلْ بِهِ فِتْنَةٌ عَنْهَا أَلِفٌ الْوَجْدِ يَخْلُو
بَلْ عَلَى الْقَبْضِ انْدِكَاكٌ دَوْرِهِمْ بِنُفُوسٍ قَادَهَا لِلْوَجْدِ ذُلٌّ

(١) - (الْبَسْطِ) في الاصطلاح الصوفي : " القبض والبسط : حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء ، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن ، والفرق بينهما أن الخوف والرجاء متعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب ، والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي " (التعريفات، ص ١٨٦)، وفي موضع آخر: " من يسع الأشياء ولا يسعه شيء، وقيل هو الرجاء ، وقيل : هو وارد بتوجيه إشارة إلى رحمة أو أنس " (التعريفات، ص ٢٧٤).

- (الْقَبْضِ) في الاصطلاح الصوفي (عُدْ إلى تعريف المصطلح السابق البسط) وفي موضع آخر: " حال الخوف في الوقت، وقيل : وارد يرد على القلب بتوجيه إشارة إلى عتاب وتأديب ، وقيل : أخذ وارد الوقت " (التعريفات، ص ٢٧٤)، " وقال الجنيد - رحمه الله - في معنى القبض والبسط : يعني الخوف والرجاء ، فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية " (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مادة بسط - ومادة قبض).

- (انْفِصَالِ) : (الفَضْل) في الاصطلاح الصوفي : " قوّة ما ترجوه من محبوبك " (التعريفات، ص ٢٧٦).

- (وَضَلِ) : (الْوَضَلِ) في الاصطلاح الصوفي : " إدراك الغائب " (التعريفات، ص ٢٧٩).

القصيدة الثانية عشرة (من البحر الطويل) :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا (ما قاله) (١) شيخنا العلامة قدوة أهل عمان راشد بن سيف بن سعيد
 اللمكي الرستاقى غفر الله ذنوبه في الثمان المسائل التي سأها شقيق تلميذه حاتم
 الأصم (٢) قد (تعلمها منه) (٣) في حال ما مضى لهما من الصحبة في مدة ثلاث
 وثلاثين سنة، وجدها نثرا فأسردها نظما، متضمنا لمعناها وبعض لفظها، فقال
 رحمه الله تعالى :

(١) في الأصل (بما قال به).

(٢) - (شقيق) هو شقيق بن إبراهيم، أبو علي الأزدي البلخي الزاهد، أحد شيوخ التصوف،
 صاحب إبراهيم بن أدهم، له كلام في التوكل معروف، وروى عنه حاتم الأصم
 وغيره، وهو من أشهر مشايخ خراسان في التوكل، توفي سنة ١٩٤ هـ. (انظر: وفيات
 الأعيان، ج ٢، ص ٤٧٥)

- و(حاتم) هو حاتم بن عنوان الأصم الزاهد من أهل بلخ، له كلام عجيب في الزهد
 والوعظ والحكم، وكان يقال له لقمان هذه الأمة، وكان قد صحب شقيقا البلخي
 وتأدب بآدابه، توفي سنة ٢٣٧ هـ. (انظر: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٦)

(٣) في الأصل (تعلمه منها).

مقدمة

أَلَا يَدِ التَّوْفِيقِ نَيْلُ الْفَضَائِلِ كَمَا رَتَّبَ الْأَعْمَالُ حَسَبَ الْقَوَائِلِ (١)
وَكَمْ مُبْرِمٍ أَمْرًا يُؤْمَلُ وَضَلَّه وَمَا لَمْ يَكُنْ حَظٌّ فَلَيْسَ بِوَاصِلِ
وَمَا عَمَلٌ يَزْكُو وَمَا تَمَّ مُرْشِدُ وَهَلْ دُوْرَ رَشَادٍ كَالثَّمَانِ الْمَسَائِلِ
أَجَابَ شَقِيقًا حَاتِمٌ مُنْبِئًا بِهَا وَمَا ظَنُّهُ إِلَّا بِهَا غَيْرَ جَاهِلِ

المسألة الأولى قال :

فَقَالَ نَظَرْتُ الْخَلْقَ كُلًّا حَبِيبُهُ مُحِبٌّ لَهُ، مَا الْمَوْتُ لَيْسَ بِنَازِلِ
وَإِنِّي اتَّخَذْتُ الصَّالِحَاتِ أَحَبِّي لَتَبْقَى دَوَامًا وَهِيَ خَيْرُ الْوَسَائِلِ

المسألة الثانية

وَقَالَ نَظَرْتُ الْقَوْلَ مَنْ يَتْرُكِ الْهَوَى لَهُ جَنَّةُ الْمَأْوَى وَأَسْمَى الْمَعَاوِلِ
فَجَاهَدْتُ نَفْسِي عَنْ هَوَاهَا لِفُوزِهَا بِتَخْلِيدِ تَنْعِيمٍ لَهَا غَيْرِ حَائِلِ

(١) - (القوایل) : الأوائل، يقال : "أخذت الأمر بقوابله أي بأوائله" (لسان العرب، مادة

المسألة الثالثة

وَقَالَ نَظَرْتُ الْخَلْقَ مَنْ كَانَ مَالِكًا لَشَيْءٍ لَهُ قَدَرٌ رَفِيعُ الْمَنَازِلِ
(فَضَنَ) (١) بِهِ وَاللَّهُ أَنْبَأُ كُلَّمَا مَعَ اللَّهِ بَاقٍ لَيْسَ يَوْمًا بِزَائِلِ
فَوَجَّهْتُ مَا عِنْدِي إِلَيْهِ بِبَذْلِهِ لِيَبْقَى عَلَى التَّأْيِيدِ مِنْ كُلِّ حَاصِلِ

(المسألة) الرابعة

وَأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَاكُمْ كَذَا اتَّقَيْتُ لِكَيْ أَبْقَى كَرِيمَ السَّمَائِلِ

المسألة الخامسة

وَقَالَ نَظَرْتُ الْخَلْقَ ذَا طَاعِنٍ لَذَا وَذَا حَاسِدٍ مِنْ أَضْلِهِ فِي الْأَرَاذِلِ
بِـ "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ" صَارَ تَرْكِئِي التـ حَاسِدَ وَالْعُدْوَانَ عَنْ كُلِّ فَاضِلِ

(١) في الأصل (فطن) والصواب بالضاد بمعنى بخل به.

المسألة السادسة

وَقَالَ نَظَرْتُ الْخَلْقَ يَبْغُونَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْبَعْضِ حَتَّى يَنْتَهِي بِالتَّقَاتِلِ
 رَجَعْتُ لِقَوْلِ اللَّهِ أَنْ تَتَّخِذَ لَنَا شَيَاطِينَنَا أَعْدَاءَ بَغَيْرِ تَغَافُلِ
 فَعَادِيَّتُهُمْ تَرْكَأَ لِعُدْوَانِ كُلِّ مَنْ سِوَاهُمْ وَهَذَا الْفَضْلُ مِنْ حُكْمِ عَادِلِ

المسألة السابعة، فقال :

وَقَالَ نَظَرْتُ الْخَلْقَ كُلًّا بِمَطْلَبِ يُذِلُّ لَهُ نَفْسًا بِثِقَلِ الشَّوَاغِلِ
 وَتُؤْبَأُ إِلَى الْأَطْمَاعِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا وَلَا يَتَوَقَّى عَنْهُ سُوءَ الْمَدَاخِلِ (١)
 عَلِمْتُ بِقَوْلِ اللَّهِ رَزَاقِ كُلِّ مَنْ يَدِبُّ وَلَيْسَ اللَّهُ عَنِّي بِغَافِلِ

(١) الضمير في (عنه) عائد على (مطلب) في البيت السابق.

المسألة الثامنة، فقال

وَقَالَ نَظَرْتُ الْخَلْقَ كُلًّا تَوَكَّلُوا عَلَى حِرْفِ شَيْ جَرَتْ بِالتَّعَامُلِ
فَأَوْكَلْتُ أَمْرِي لِلإِلَهِ عَلَى الرِّضَى بِحُكْمِ الْقَضَائِمِ ثَمَّانُ الْمَسَائِلِ

الخاتمة

فَمِنْ نُورِهَا شَمْسُ الْهِدَايَةِ أَشْرَقَتْ وَمِنْ مُزْنِهَا وَذُقْ الْحَيَا الْمُتَهَاطِلِ
كَأَنَّ عُلُومَ الْوَحْيِ تَنْشُرُ طِيَّهَا بِمَا ضَمَّنَتْهُ مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ
وَحَمْدِي لِرَبِّي وَالصَّلَاةُ لِشَارِعِ الْـ هِدَايَةِ مَعَ آلِ وَأَهْلِ الْفَضَائِلِ

تمت بحمد الله وعونه، وكان تمامها يوم ١٥ رجب سنة ١٣٣٥ هـ على يدي العبد
الحقير حماد بن خلفان بن حماد الشرياني بيده، في وقت محاصرة الإمام سالم بن
راشد الخروصي بلد الرستاق.

القصيدة الثالثة عشرة (من البحر الطويل) :

وله أيضا هذه المقطوعة الشعرية :

فَمَنْ يَوْمُهُ أَمْضَى وَلَمْ يَكُ قَدْ قَضَى حُقُوقاً وَلَا أَدَّى فُرُوضاً بِهَا التَّزَمَ
وَلَا قَامَ فِي تَحْصِيلِ حَمْدِ مُؤَسَّسَا لِحَيْرٍ وَلَا مَجْدِ أَثِيلٍ بِهِ اغْتَنَمَ (١)
وَلَا لَا قَبَّاسِ الْعِلْمِ قَدْ عَقَّ يَوْمُهُ وَمَهْمَا خَلَا عَنْهَا فَلِلنَّفْسِ قَدْ ظَلَمَ (٢)

(١) (أثيل) : أصيل (لسان العرب ، مادة أثل).

(٢) (قد عَقَّ يومه) جواب الشرط الوارد في البيت الأول.

القصيدة الرابعة عشرة (من البحر الرجز) :

وعنه "نظما لبعض الحكم عن السلف الصالح أسردها في سلك عقود نظامه "

وَرَجُلٌ قَالَ لِبَعْضِ الْحُكَمَا	عِظْنِي فَقَالَ إِنْ غَضِبْتَ تَنْدَمَا
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ مَهْمَا إِنْ تَكُنْ	هَوَاكَ قَدْ خَالَفَتْهُ فَتْسَلَمَا
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ فَاغْمَلْ صَالِحَا	لِلنَّفْسِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ هَرِمَا (١)
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ فَاغْمَلْ بِالَّذِي	فَقِهْتَ مِنْ رُشْدِكَ مِمَّا تَعْلَمَا
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ زِنْ نُطْقَكَ مَا	تَقُولُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكَلَّمَا
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ قَدِّمْ عَمَلَا	زَادَا بَلَاغَا قَبْلَ أَنْ تُقَدَّمَا (٢)
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ فَاحْفَظْ صِحَّةَ	لِلْجِسْمِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ مُسْقَمَا
فَقَالَ زِدْنِي قَالَ فَاخْرِجْ مَا انْطَوَى	بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّكَ هَذَا الدَّرْهَمَا
رَصَّعْتُ ذَا الدَّرْعُودَا نُورَهَا	يَكْشِفُ جَهْلَكَ الْبَهِيمَ الْمُظْلِمَا
خُذْهَا دَلِيلًا لِلْهُدَى وَهَلْ تَرَى	عِقْدَ لَالٍ كَاشِفَا دَاءَ الْعَمَى ؟!
مَا إِنْ بَعِثَ مِنْ لَالٍ رَوْنَقُ	وَعِقْدُ ذَا الدَّرْعُودِ فِي سَمَا (٣)

(١) هكذا وجدت الشطر الثاني في الأصل، وذكر لي الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي أنه

يروى "تنج به واسلك طريقا أقوما".

(٢) (بلاغا) : ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب (لسان العرب ، مادة بلغ).

(٣) (مَا إِنْ) (ما) نافية ، و(إِنْ) زائدة.

القصيدة الخامسة عشرة (من البحر الطويل) :

منظومة السلك المنظوم فيما اقتضاه المقدر المعلوم من القضاء المحتوم

صَمَدْتُ لِيذِي (النُّعْمَى) لِيَكْشِفَ مَا بِيَهْ وَيَسْلِبَ عَنِّي هَوْلَ مَا قَدْ رَزَانِيَهْ (١)
 رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْهَا بِأَسْهُمِ فَلَمْ يَكُ عَنْهَا لِي مِنْ اللَّهِ وَاقِيَهْ
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي حَلَّ بِالشُّمِ بُسَّتِ انْ سِدْكَ كَأَ وَلَا تَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيَهْ (٢)
 كَذَا لَوْ غَشَا أَرْجَا السَّمَاءِ تَشَقَّقَتْ وَمَارَتْ فَمَا تُلْفَى إِذَا غَيْرَ وَاهِيَهْ (٣)
 وَبِالْأَرْضِ لَوْ مَا بِي مِنَ الْخَطْبِ زُلْزَلَتْ وَمَادَتْ كَيَوْمِ الصَّغِقِ تُضْبِحُ خَاوِيَهْ (٤)
 فَقَدْ عَصَفَتْ رِيحُ الْخُطُوبِ وَهَدَّمَتْ قَوَاعِدَ أَرْكَانِ مِنَ الدِّينِ رَاسِيَهْ
 بِفَقْدِ مَصَابِيحِ الْهُدَى اِغْلَنَكَسَ الدُّجَى وَأَمْوَاجُ تِيَارِ الرَّدَى مُتَوَالِيَهْ (٥)
 فَمَهْمَا بِخَوَرِ الْعِلْمِ غَاضَتْ فَهَلْ تَرَى جَوَاهِرَ مِنْهَا إِنْ تَكُنْ غَيْرَ طَامِيَهْ (٦)

(١) (النُّعْمَى) في الأصل كتبت بألف ممدودة أو أنه أراد (نُعْمَاء) فحذف الهمزة مراعاة للوزن.

(٢) (بُسَّتِ) : فُتَّتْ فصارت أرضاً (لسان العرب ، مادة بسس).

(٣) (مَارَتْ) : مار : تحرك أو اضطرب ، أو جعل يجيء ويذهب (لسان العرب ، مادة مار).

(٤) (مَادَتْ) : ماد : اهتز (لسان العرب ، مادة ماد).

(٥) (اِغْلَنَكَسَ) : اشتد سواده (لسان العرب ، مادة علكس).

(٦) - (غَاضَتْ) : نضبت أي ذهب في الأرض (لسان العرب ، مادة غيض).

- (طَامِيَهْ) : طَمَا الشيءُ : ارتفع و طال و علا (لسان العرب ، مادة طمو) والمعنى السياقي الظهور

وَمَا سَمَاءُ الْمَجْدِ بِالْحَطْبِ فَرَجَتْ فَهَلْ لِلْهُدَى شَمْسٌ بِهِ ثَمَّ جَارِيَةٌ
وَمَا شَجَرَةُ الْإِيمَانِ إِلَّا كَأَنَّهَا هَشِيمٌ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْجَذْبِ بِأَلِيَّةٍ
وَمَا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ إِلَّا كَأَنَّهَا هَيَاكِلُ أَجْسَامٍ مِنَ الرُّوحِ خَالِيَةٌ
وَمَا شَيْمُ الْأَخْرَارِ إِلَّا كَمْزَنَةٌ عَلَى الْجَوْ هَبَّتْهَا عَوَاصِفُ عَاتِيَةٍ (١)
وَمَا لَحْمِيَّاتِ الرَّجَالِ مَوَاسِمًا وَمَا رَوْضُهَا إِلَّا بِبَلَاقِعِ هَاوِيَةٍ (٢)
إِذَا سِيمَ خَسَفًا مَنْصِبُ الْعَدْلِ هَلْ تَرَى مَعَالِمَ مِنْهَاجِ الرَّشَادِ عَلَانِيَةٍ؟ (٣)
أَبَاحُوا الدَّمَاءَ بَغْيًا وَظَلَّتْ كَأَنَّهَا دِمَائُكُمْ فِي دِينِهِمْ مُتَسَاوِيَةٌ
كَذَا انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ ظُلْمًا كَأَنَّهَا مَغَانِمُ عَدُوِّهَا مِنَ الْفِيءِ صَافِيَةٌ
وَإِنْ مَوَائِثُ الْعُهُودِ كَأَنَّهَا أَسَاسُ بِنَا لَكِنْ يُهْدَمُ عَالِيَةٌ
وَقَدْ حَادَدُوا شَرْعَ الْهُدَى فَكَأَنَّهُمْ مَعَاشِرُ مَنْ أَهْلُ الْيَمَامَةِ صَائِيَةٌ
فَمَا غَادِرٌ إِلَّا بِهِ الدَّهْرُ غَادِرٌ لِتَجْرِيدِ سَيْفِ الْبَغْيِ يَصْرَعُ بَاغِيَةٌ

(١) (مُزْنَةٌ) : سحابة (لسان العرب ، مادة مزن).

(٢) - (حَمِيَّاتٍ) جمع حَمِيَّة : وهي الْأَنْفَقَة (لسان العرب ، مادة حما)، و(مَا) الأولى أفادت الاستفهام الإنكاري.

- (بَلَاقِع) جمع بلقع وبلقعة ، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها (لسان العرب ، مادة بلقع).

(٣) (سِيمَ خَسَفًا) : أُمِينٌ وَأَلِيٌّ الذَّلَّ وَالْهُوَانِ (لسان العرب ، مادة سيم - خسف).

وَمَا غَارِسٌ مُرَّائِرٌ جِي اجْتِنَاءُهُ سَوَى غَرْسُهُ - لَوْ مُدَّ دَهْرًا - أَمَانِيَّةُ (١)
 يَرَى خَابِطُ الْعَشْوَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ أَيَادِي سَبَا لَوْ لَمْ يُعَاجِلْ بِقَاضِيَّةِ (٢)
 أَرَى النَّاسَ فِي دَهْرِي يُسَيِّغُونَ مِنْهَلًا أَجَاجًا كَهَاءِ الْيَمِّ لَا يَزُورِي صَادِيَّةِ (٣)
 أَصِيبُوا وَلَمَّا يَشْعُرُوا بِمُصَاحِبِهِمْ كَأَعْمَةٍ لَا يَذِرِي الْمَتَالِفَ مَا هِيَّةِ (٤)
 مَنْ اغْتَرَّ بِاسْتِدْرَاجِهِ ظَلَّ عَيْشُهُ كَأَكْمَةٍ لَمْ يُبْصِرْ مِنَ الْوَرْدِ صَافِيَّةِ (٥)
 وَمَنْ يَأْمَلِ الدُّنْيَا مَقَرًّا كَمَنْ رَجَا عَلَى الْمَوْجِ يَبْنِي مِنْ مَصَانِعِ سَامِيَّةِ
 فَمَنْ سُرَّ يَوْمًا سَاءَهُ الدَّهْرُ بُرْهَةً فَكَيْفَ وَمَا تِلْكَ الْمَسَرَّاتُ وَافِيَّةُ؟

(١) التركيب يقتضي أن ترد (أَنْ) المصدرية بعد (سوى).

(٢) - (خَابِطُ الْعَشْوَا) من قولهم : (خَبِطُ عَشْوَاءَ) وأصله الناقة التي في بصرها ضَعْفٌ ، فتخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً ، فاستعير في الرجل إذا ركب ما ركب بجهالة (لسان العرب ، مادة خبط) .

- (أَيَادِي سَبَا) كناية عن التفرق في كل وجه.

(٣) - (مِنْهَلًا أَجَاجًا) : مورداً ملحاً (لسان العرب ، مادة نهل - أجم).

- (صَادِيَّةِ) : الصادي : العطشان بشدة (لسان العرب ، مادة صدي).

(٤) (كَأَعْمَةٍ) متحير متردد (لسان العرب ، مادة عمه).

(٥) (كَأَكْمَةٍ) في معناه خلاف دقيق ، والمعنى الذي يقتضيه السياق : هو الذي تلده أمه أعمى

(لسان العرب ، مادة كمه).

وَمَنْ كَانَ مَأْسُورَ الْهَوَى مَا لَغِيهِ انْتِهَاءً وَلَوْ أُرْدِي بِتَسْلِيْطِ دَاهِيَةٍ
يَشْقُ الْعَصَى لَا يَنْتَنِي عَنْ هَوَائِهِ كَنْشَوَانٍ صَهْبًا مَا بِهِ النَّفْسُ صَاحِيَةً (١)
وَقَدْ أَوْضَحَ الْإِسْنَادُ أَنَّ أدْلَةَ أَقْ— تَرَابٍ انْقِضَا الدُّنْيَا الْمَنَائِرُ فَاشِيَةً (٢)
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا فِي الصَّغَارِ وَذُو الْوَلَا عَلَى الْمُلْكِ أَشْرَارٌ عَلَى الْغِيِّ جَائِيَةً
وَقَالَ سَيِّئَاتِي مَنْ عَلَى الدِّينِ قَابِضٌ كَقَابِضِ جَمْرِ النَّارِ فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ
يَوَدُّ أَخُو الْمَقْبُورِ لَوْ كَانَ مُلْحَدًا مَكَانَ أَخِيهِ مِنْ شَدَائِدِ آتِيَةٍ (٣)
وَقَالَ ابْتِدَاءُ الدِّينِ فِي غُرْبَةٍ وَقَدْ يَعُودُ غَرِيْبًا مِثْلَ مَا كَانَ ثَانِيَةً
وَحَيْرٌ تَجَارَاتِ الرِّجَالِ غُنِيْمَةٌ تَفْرُبُ عَلَى الشُّمِّ بِالدِّينِ نَاجِيَةً (٤)

(١) - (هَوَائِهِ) يريد : هواه

- (صَهْبًا) أصلها : (صهباء) وهي الخمر ، وسميت بذلك للونها ، الصُّهْبَةُ هي الشُّقْرَةُ
(لسان العرب ، مادة صهب).

(٢) (الْمَنَائِرُ فَاشِيَةً) جملة اسمية وقعت خبرا لـ (أَنَّ).

(٣) (مُلْحَدًا) من لحدت الميت وألحدته فهو مُلْحَد.

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه الإمام الربيع (وغيره) في مسنده عن أبي عبيدة

عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ، ومواضع المطر ، يفرّ بدينه

من الفتنة) قال الربيع : شعف الجبال : رؤوسها (الجامع الصحيح ، رقم (٧٦) ، ص ٤٩)

زَمَانٌ بِهِ فَاضَ اللَّثَامُ وَغَاصَتِ الْ—
 فِرْفَرُ جَبْرِيلُ الْأَمَانَةِ وَالْحَيَا
 وَلَمْ يَبْقَ فِي ذِي الْفَقْرِ صَبْرٌ وَلَا سَخَا
 وَلَا بُولَاةُ الْأَمْرِ عَدْلٌ وَلَا مِنْ الْ—
 وَلَا وَرَعٌ مِنْ أَهْلِ عِلْمٍ وَلَا اهْتِدَا
 وَلَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ فِي كُلِّ مَا بِهَا
 عَلَى إِثْرِ ذَا يُقْصَى بِإِيقَاعِ نَفْخَةٍ
 فَهَذَا زَمَانٌ كَمِ بِهِ مِنْ أَدْلَةٍ
 كِرَامٌ بِبَطْنِ الْأَرْضِ بِالمَوْتِ فَايْنَهُ
 تَطِيرُ بِهِ الْعَنْقَاءُ مِنْ كُلِّ غَايِنَةٍ (١)
 بِمَالٍ يُرَى مِنْ ذِي الْغِنَى وَالرَّفَاهِيَةِ
 رُجَالٍ حَيَّاتُ حِمَى الدِّينِ حَامِيَةِ
 بِأَنْوَارِ قُرْآنٍ لِمَنْ كَانَ تَالِيَهُ
 وَلَا مُؤْمِنٌ فِيهَا يُوحِّدُ هَادِيَهُ
 تُرَى الْأَرْضُ مَا فِيهَا بِهَا مُتَلَاشِيَةٍ
 بِرَهَانٍ مَا الْإِسْنَادُ عَنْهَا هَدَانِيَةٍ

(١) (العَنْقَاء) اسم طائر مجهول، ويضرب به المثل في الهلاك، فيقال : طارت به العنقاء (جمهرة

الأمثال، ج ٢، ص ١٦).

فُسْحَى عَلَيْنَا هَاتِنَ الْمُزْنَ رَحْمَةً بِسَائِحِهَا يَنْزَاحُ بَارِجٌ غَاشِيَةٌ (١)
 إِلَهِي اهْدِنَا نَهْجَ الرَّشَادِ بِعِصْمَةٍ تَقِينَا غَوَاشِيِ الْبَغْيِ مِنْ كُلِّ طَاغِيَةٍ
 لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي وَالصَّلَاةُ لِمَنْ بِهِ عَلَتْ رُتَبُ الْإِسْلَامِ وَاعْطِفَ سَلَامِيَةٍ
 كَذَا أَلَهُ الْأَطْهَارُ مَعَ صَاحِبِهِ وَمَنْ عَلَى هَدْيِهِمْ أَسْبَلْ عَلَيْهِمْ صَلَاتِيَةٍ

(١) - (سُحَّى) : سَحَّ : سال من فوق واشتدَّ انصبابه (لسان العرب ، مادة سحج).

- (هَاتِنَ) هَتَنَتِ السَّمَاءُ : صَبَّتْ ، وقيل : هو من المطر فوق الهطل (الهطل : تتابع المطر

وسيلانه) (لسان العرب ، مادة هتن).

- (سَائِحِهَا) السَّائِحُ : الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض (لسان العرب ، مادة ساح).

- (بَارِج) كل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ ؛ وإنما قيل للبروج : بُرُوجٌ لظهورها وبيانها واتساعها

(لسان العرب ، مادة برج).

السؤال :

أَرْوَمُ جَوَاباً مِنْ فَتَى صَارِمِ الْحَدِّ
فَمَنْ قَدْ نَهَى زَوْجاً لَهُ عَنْ بَذَاذَةٍ
وَلَمْ تَنْتَهِ بِأَلْهَدٍّ هَلْ جَازَ ضَرْبُهَا
أَيْلِزُمُهُ يَا سَيِّدِي بَعْدَ نَهْيِهِ
وَمَا قِيلَ سُلْطَانٌ عَلَيْهَا فَهَلْ تَرَى
أَفِذْنِي بِمَا (قَدْ) قِيلَ فِيهِ وَمَا تَرَى
يُحْذِرُ رِقَابَ الْجَهْلِ مِنْ طَالِبِ الرُّشْدِ
وَقُبُحِ فِعَالٍ أَوْ مَقَالٍ لَهُ يُبْدِي (١)
بِجَلْدٍ وَجِيعٍ كَانَ يُخَصِّرُ بِالْعَدِّ (٢)
ضَمَانٌ إِذَا لَمْ يَنْتَهِ مَائِسُ الْقَدِّ؟ (٣)
يَكُونُ لَهُ مَا لِلْإِمَامِ مِنَ الْحَدِّ؟
عَسَى الْمَلِكُ الْعَلَامُ يَهْدِيكَ لِلرُّشْدِ (٤)

* لعله زهران بن زاهر بن سعيد الهنائي ناظم للشعر، عاش في القرن ١٤ هـ، تتلمذ على يد

الشيخ ماجد بن خميس العبري، وله أسئلة نظمية. (معجم شعراء الإباضية، ص ١١٧)

(١) (بَذَاذَةً) بَذَذْتَ تَبْذِ بَذَاذَاً وَبُذُوذَةً: رَثَّتْ هَيْئَتُكَ وَسَاءَتْ حَالَتُكَ (لسان العرب، مادة بَذَذَ).

(٢) - (الهدّ): الصوت الغليظ (لسان العرب ، مادة هدد).

- (وَجِيع) أي مُوجِع ، كَأَلِيم مُؤْلِم (لسان العرب ، مادة وجع).

(٣) - (مَائِسُ الْقَدِّ) مائس : متبخر ومختال ، والقَدّ : قامة الجسم ، والتركيب الإضافي كناية

عن موصوف هو المرأة (لسان العرب ، مادة ماس وقدد).

(٤) ما بين القوسين إضافة ليستقيم الوزن.

الجواب :

أَصِخْ لِحَوَائِيْ فَهُوَ أَخْلَى مِنَ الشَّهْدِ وَتَرْيَاقُهُ أَخْلَى لِدَا الْجَهْلِ وَالْجَهْدِ (١)
 كَكَاسٍ لَهُ طَفْحٌ فَعُلَّ مَسَاغُهُ فَنَشْوَتُهُ صَحُوٌّ يُرْقِي ذُرَى الْمَجْدِ (٢)
 لَهُ لَمَعَانٌ مَا سَنَا الشَّمْسُ إِذْ بِهِ تَجَلَّتْ بَرَاهِينُ الْحَقَائِقِ لِلرُّشْدِ (٣)
 فَقَدْ نَصَّ فَالتَّزْوِيجُ نَوْعٌ تَمْلِكُ وَلِلزَّوْجِ فِي ذَاكَ اخْتِسَابٌ عَلَى الْجَهْدِ
 وَقَدْ شَبَّهُوهُ بِالرَّئِيسِ لِقَوْمِهِ وَلَيْسَ لَهُ مِثْلُ الْإِمَامِ مِنَ الْحَدِّ
 يُطَالَبُ بِالْإِنْصَافِ شَرْعًا لِمَا ادَّعَى عَلَيْهَا إِذَا مَا أَنْكَرْتُهُ عَلَى الْجَحْدِ

(١) - (الشَّهْدُ) بفتح الشين وضمها : العسل ما دام لم يُعَصَّر من شمعهِ ، واحدته شَهْدَة

وشَهْدَة ، وَيُكَسَّرُ عَلَى (الشَّهَادَة) (لسان العرب ، مادة شهد).

- (تَرْيَاقُهُ) الترياق بكسر التاء (تَفْعَالٌ أَوْ فِعْيَالٌ) فارسي معرَّب ، هو دواء السموم ، وما

يُستعمل لدفع السَّم من الأدوية والمعاجين ، والعرب تسمي الخمر تَرْيَاقًا وَتَرْيَاقَة ؛

لأنها تذهب بالسَّم (لسان العرب ، مادة ترق - مادة ريق).

(٢) - (طَفْحٌ) طَفَحَ الْإِنَاءُ وَالنَّهْرُ : امتلأ وارتفع حتى يفيض (لسان العرب ، مادة طفح).

- (عَلَّ) أَوْ عَلَّلَ : الشرب بعد الشرب (لسان العرب ، مادة علل).

(٣) (مَا سَنَا الشَّمْسُ) لعلها (مِنْ سَنَا الشَّمْسِ) ، أو لإرادة التفخيم والتعجب من بريق

لمعان الكأس إذا ما قُورِنَ بسناء الشمس .

وَقَدْ نَصَّ بِالتَّنْزِيلِ بِالْعَدْلِ إِذْ هَا
فَلَسْتُ أَرَى فِي الضَّرْبِ لِلزَّوْجِ مَهْيَعًا
فَمَهْمَا انْتَهَتْ طَابَتْ وَإِنْ قَدْ أَبَتْ فَمَا
وَإِنْ ضَاقَ ذَرْعًا قِيلَ بِالْحَبْسِ مَنُوعَهَا
وَمَنْ كَانَ تُجْدِيهِ النَّصَائِحُ شَتْمُهُ
وَلَيْسَ لَهُ تَكْلِيفُهَا؛ غَيْرُ وَاجِبٍ
وَقَدْ نَصَّ ضَرْبُ بِالْكِتَابِ مُحْصَصٌ
وَذَلِكَ بَعْدَ الْهَجْرِ مِنْهُ بِمَضْجَعٍ
وَقَدْ شَاعَ خُلْفٌ قِيلَ غَيْرُ مُبْرَحٍ
وَبَعْضُ هُنَا قَدْ فَسَّرَ الضَّرْبَ كَوْنَهُ
وَجُوزَ تَأْدِيئًا وَحُدَّ انْتِهَاؤُهُ
فَمَهْمَا تَعَدَّى فَوْقَ مَا حُدَّ ضَامِنٌ
مِنْ الْحَقِّ مِثْلَ الْحَقِّ مِنْهَا عَلَى الضَّدِّ (١)
لِزَوْجَتِهِ إِذْ يَكْتَفِي عَنْهُ بِأَهْدٍ (٢)
أَحَبُّ لَهُ إِلَّا التَّغَاضِي عَنِ الشَّدِّ
بِمَنْزِلِهِ صَوْنًا وَيُظْهَرُ لِلْحَقْدِ
مُحَلٌّ لِتَأْلِيفِ الْبُعُولَةِ لِلْوُدِّ
عَلَيْهَا لَهُ شَرْعًا بِشَائِبَةِ الْكَدِّ
إِذَا (نَشَزَتْ) عَنْهُ وَحَامَتْ عَلَى بُعْدِ (٣)
لِتَقَادَ طَوْعًا لِلتَّلَامُوسِ فِي وَجْدِ (٤)
وَقِيلَ بِلا أَثَرٍ يَصِيرُ عَلَى الْجِلْدِ
بِإِغْلَظِ قَوْلٍ مُسْتَفَادٍ لَدَى الرَّدِّ
ثَلَاثًا إِلَى خَمْسٍ وَعَشْرٍ مِنَ الْعَدِّ
مَعَ الْإِثْمِ هَلْ يُعْفَى الْمُجَاوِزُ لِلْحَدِّ

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَهَنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة/٢٢٨).

(٢) - (مَهْيَعًا) هَاع الشَّيْءُ يَهْيَعُ هِيَاعًا : اتَّسَعَ وَانْتَشَرَ (لسان العرب ، مادة هيع).

- (أَهْدٍ) : الصوت الغليظ (لسان العرب ، مادة هدد).

(٣) (نَشَزَتْ) وردت في الأصل بالراء المهملة ، ولعله سهو من النساخ.

(٤) (وَجْدٍ) : حُبٌّ (القاموس المحيط ، مادة حب).

فَتِلْكُمْ عَوَانٍ بَيْنَ أَيْدِي رِجَالِهَا أَسِيرَةٌ مُلْكٍ ضَارَعَتْ مِلْكََةَ الْعَبْدِ (١)
 أَلَا فَاتَّقُوا شَأْنَ الضَّعِيفِينَ إِنَّكُمْ تَمَلَّكْتُمُوهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَالْجِدِّ
 فَإِنْ شِئْتَ إِمْسَاكَ عَلَى حُسْنِ عِشْرَةٍ وَإِلَّا فَتَسْرِخْ جَهِيلٌ مَعَ الصَّدِّ
 فَدُونَكَ تَرْصِيعُ الْجَوَاهِرِ نُظْمَتْ بِسِلْكِ فَمَا عَقْدُ بَوْرَدِيَّةِ الْحَدِّ
 جَوَاهِرُ يَجْلُو ظُلْمَةَ الْجَهْلِ نُورُهَا وَذَلِكَ عِقْدٌ مَا لَهَا مِنْ سَنَى يَهْدِي
 وَأَحْمَدُ رَبِّي حَمْدَ عَبْدٍ قَدْ اهْتَدَى لَأَهْدَى سَبِيلٍ فَازَ بِالرُّشْدِ وَالسَّعْدِ
 وَإِنَّ صَلَاتِي مَعَ سَلَامِي لِشَافِعِي وَمَنْ بِمَقَامِ الْحَقِّ أَثْبَتُ مِنْ طَوْدِ (٢)

-
- (١) (عَوَانٍ) عَنَا الرَّجُلُ يَغْنُو عَنْهُ وَعَنَا إِذَا ذَلَّ لَكَ وَاسْتَأْسَرَ ، وفي الحديث : " اتقوا الله في النساء فاتهنَّ عندكم عوان " أي أسرى أو كالأسرى ، واحدة العواني عانية ، وهي كالأسيرة (لسان العرب ، مادة عنا) ؛ إشارة إلى الحديث النبوي الشريف : " اتقوا الله في الضعيفين " يعني المرأة والمملوك (لسان العرب ، مادة ضعف).
- (٢) (طود) : الجبل العظيم (لسان العرب ، مادة طود).

المصادر

أولا : المخطوطات :

- ترجمة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بخط الشيخ سيف بن سالم بن سيف اللمكي، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ. (مخطوط بيد الباحث نسخة منه).
- جواهر الآثار، الشيخ جمعة بن علي الصائغي، الجزء الأول من القطعة الثانية عشرة، دار المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، رقم التصنيف (٢٧٩).
- شعر الشيخ راشد بن سيف اللمكي، مكتبة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بيد أقارب الشيخ بولاية الرستاق، سلطنة عمان.
- قصيدة سر القدر، مكتبة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، بيد أقارب الشيخ بولاية الرستاق، سلطنة عمان.
- كتاب الشيخ أحمد بن النضر الدعائم واللامية المنسوبة إليه، مكتبة المرحوم عبدالله بن زهران بن زاهر الرمحي، ولاية الرستاق، سلطنة عمان.
- مجموع أدعية ومواعظ وخطب للشيخ راشد بن سيف اللمكي، مكتبة الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، ولاية العوابي، سلطنة عمان.

- مجموع مسائل فقهية أجاب عنها الشيخ راشد بن سيف اللامي، الناسخ:
علي بن خميس بن راشد العبدي، مكتبة الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي،
ولاية العوابي، سلطنة عمان.
- مسالك المناسك، الشيخ راشد بن سيف اللامي، مكتبة السيد محمد بن
أحمد البوسعيدي، السيب، رقم التصنيف ٦٠٩.
- مقاليد التصريف، الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، دار المخطوطات،
وزارة التراث والثقافة، رقم التصنيف ٢٣٨٥.
- مكنون الخزائن وعيون المعادن، الشيخ موسى بن عيسى البشري، مكتبة
السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب، رقم التصنيف ٥٣٦.

ثانياً: المطبوعات:

- إحياء علوم الدين، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (خرج
أحاديثه وعلق عليه: محمد وهبي سليمان وأسامة عمورة)، دار الفكر،
دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الأزهار البرية لعمان الشمالية، جيمس مند فيل، شركة جون بارثولميو
المحدودة بالتعاون مع مستشار الحكومة لحفظ البيئة التابع لوزارة شؤون
الديوان في سلطنة عمان، بريطانيا، ١٩٧٨.

- أساس البلاغة، جاز الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار بيروت، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (تحقيق: جماعة من العلماء)، الكويت.
- تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين، الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري. (كتاب مرقون بالطبعة)
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، العلامة عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عمان.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (تحقيق محمد عبدالحكيم القاضي)، دارالكتاب المصري، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. (ملحق بآخره: اصطلاحات الشيخ محيي الدين العربي).
- تيسير التفسير للقرآن الكريم، قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري، السيب.
- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، (ضبطه وخرج أحاديثه: محمد إدريس - راجعه وقدم له: عاشور بن يوسف)، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش)، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الجنت في وصف الجنة، العلامة محمد بن يوسف أطفيش، ط ٣، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٩م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين بن علي الإربلي، (ضبطه : إميل بديع يعقوب)، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- الدعائم، العلامة أبو بكر أحمد بن النضر، ط ٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، (تحقيق ومراجعة : سعد كريم الفقي)، ط ٢، دار اليقين، القاهرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ديوان الإمام نور الدين السالمي (تحقيق ودراسة : عيسى بن محمد السليمان)، العلامة عبدالله بن حميد السالمي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، (جمع وتحقيق : عادل بن راشد بن علي المطاعني)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- الرستاق عبر التاريخ، المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الرستاق على صفحات التاريخ، الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، مطابع النهضة، مسقط، ٢٠٠٧م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبدالنور المالقي، (تحقيق: أحمد محمد الخراط)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت).
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الإستراباذي، (ضبطه: إميل بديع يعقوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- شرح المعلقات العشر، ياسين الأيوبي وصلاح الدين الهواري، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية، علي عبد الخالق علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان، الأديب محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، ط٣، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٩م.
- قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان، القاضي السيد حمد بن سيف بن محمد البوسعيد، مسقط، ١٤١٣ - ١٩٩٣م.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- كرسي أصول الدين في الولاية للمؤمنين المتقين والبراءة من الكافرين والمنافقين والحجة على الملحدين الضالين، الشيخ العلامة سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي، (دراسة وتحقيق: خليفة بن سعيد بن ناصر البوسعيدي)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب - مسقط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، (تحقيق: علي دحروج)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٦٩م.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي، (تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري)، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠م.
- معجم شعراء الإباضية (قسم المشرق)، فهد بن علي بن هاشل السعدي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق)، فهد بن علي بن هاشل السعدي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، أنقرة، ١٩٨٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار إحياء التراث العربي.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة)، عالم الكتب.
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون، لبنان، ١٩٩١م.
- نهضة الأعيان بحرية عمان، محمد ابن الإمام نور الدين السالمي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، (د.ت.).

الشعر السلوكي عند الشيخ راشد بن سيف اللمكي

د/وليد خالص

قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس

تنويه :

لأهمية هذه الدراسة وارتباطها بشعر الشيخ راشد بن سيف اللمكي فقد ارتأت اللجنة الثقافية بنادي الرستاق الرياضي الثقافي إلحاقها بالديوان، وقد شارك الدكتور وليد خالص بهذه الدراسة في الندوة العلمية عن (الشيخ راشد بن سيف اللمكي وآثاره) المنعقدة يوم الأربعاء ٢١ محرم ١٤٢٦هـ الموافق ٢ مارس ٢٠٠٥م على مسرح نادي الرستاق الرياضي الثقافي برعاية سعادة الشيخ أحمد بن سعود السيابي الأمين العام لمكتب الإفتاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي المرة الأولى تقريبا التي أقرب فيها من (نصوص) شاعر وأنا أجهل أشياء كثيرة عنه ، فأنا لا أعرف سنة مولده ، ولا أدري إن كان حيّا أم توفي ، ولا أعرف شيئا عن نشأته ، ودراسته ونوعية الثقافة التي تلقاها ، والمؤثرات العامة التي أثرت في شخصيته ، ومن بعدُ في شعره ، كما غاب عني أيضا العصر الذي عاش فيه ، وأثره في هذا العصر ، والأثر الذي أحدثه ذلك العصر فيه ، وأمور أخرى كثيرة ، وحين أقول إنني أجهل ذلك كله فإنما أعني بالجهل هنا غياب (الوثيقة) سواء أكانت مدونة أم مسموعة ، إذ لم أتسلم سوى مجموعة من النصوص كتب قبل نصها الأول : (قصائد الشيخ راشد) ، وفي أثناء فحصي

النصوص عثرت على الاسم بالكامل وهو (الشيخ راشد بن سيف اللمكي) ،
ولاشيء سوى هذا مع شذرات تشير إلى (الرستاق) ، وبعض أسماء المواضع
التي يستقر فيها . هذا كل شيء ، فما العمل ؟ هل أبدأ بالسؤال والتنقيب كما كنت
أفعل سابقا ؟ بمعنى أن أبحث عن تفاصيل حياته ، ونشأته ، ودراسته ، وما تركه
من آثار علمية ، بالإضافة إلى مكانته العلمية والأدبية هكذا أفعل حين أتصدى
للكتابة عن شاعر أو اتجاه ، أو نقطة ما ، وهذا هو شأن المنهج العلمي الذي
استقرت عليه الجامعات ، وصار تقليديا بمعنى احتوائه على قواعد وأسس لا
يُركن إلا إليها ، ومن الضروري أن يفِيء إليها الدارس ، أيُّ دارس وهو يريد
لبحثه المتانة ، والجودة ، والوصول إلى نتائج محكمة .

وحاولت أن أجرب طريقة أخرى ملخصها المواجهة ، نعم المواجهة
العزلاء من أي شيء مع النص ، فلأواجهة النصّ وحده وأنا مزوّد بأدوات ليس
من بينها ما اصطلح عليه بـ (ما حول النص) من حياة ، وعصر ، ومؤثرات ،
وهي تجربة جديدة ، ولكنها مثيرة ، فيها من الكشف والدهشة الشيء الكثير ،
وفيها أيضا من قدرة النص وثرائه - كما سنرى - القدر الكبير أيضاً .

وأودّ قبل الدخول إلى فضاءات النصوص أن أقرر جملة من الحقائق ،

وأولها أنني مددت الطرف قليلاً وأنا منشغل بالقراءة والكتابة ، أقول مددت
الطرف قليلاً إلى كتاب الشيخ الفقيه محمد بن راشد الخصيبي تغمده الله برحمته

التأثرية ، وأفادت من التقدم العلمي والفكري الذي ساد العالم ، وأثبتت هي الأخرى قدرتها على السباحة في فضاء النصوص ، والغوص إلى الأعماق ، والعودة بجواهر نفسية ولآلىء ثمينة .

وثالث هذه الحقائق تتجلى في أن النصوص التي قمت بدراستها ينفصل فيها الواحد عن الآخر بشكل ملحوظ من حيث التاريخ والتراكم أو كذلك من جهة انطوائها تحت (ديوان) أو (مجموع شعري) واحد بحيث تشير إلى توجه الشاعر ونفسه الشعري من جهة ، وتبين تطوره الروحي والفكري من جهة أخرى ، بيد أن هذا لم يحل دون التقاط ذلك الخيط الرفيع الذي يسري بخفاء بين النصوص ، ونعني به السمات الأسلوبية والفكرية التي ندّت في النصوص هنا وهناك وهي تشير إلى روح واحدة ، واستقرار واحد ، ورؤية واحدة تنتظم النصوص جميعها .

ولعلّ الحديث عما يسمى بتداخل النصوص لمعرفة السياق الذي تنتمي إليه قصائد الشيخ اللمكي يكون مدخلاً صالحاً للدخول إلى عالمها على اعتبار أن النص " ليس ذاتاً مستقلة أو مادة موحدة ، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ، ونظامه اللغوي مع قواعد ومعجمه جميعها تسحب إليها كمّاً من الآثار والمقتطفات من التاريخ " (الخطيئة والتفكير ، د.عبد الله الغدامي ، ص ١٥) ، ولهذا فنحن بشيء من الفحص نتمكن من التقاط أمشاج من الثقافة الدينية

والشعرية واللسانية تطل برأسها أو تنساب بخفاء في ثنایا النصوص ، يضاف إليها اغترافه من بحر الشعر الديني الواسع سواء أكان عربيا عاما ، أم سلوكيا عمانيا خاصا .

وأول ما نقف عنده هو القرآن الكريم ، ولم يكن الشيخ نسيج وحده في هذا ، فطالما نظر الأدباء إلى أسلوب القرآن المعجز ، وحاولوا الاقتراب منه ، والاقتباس من أنواره ، وهم يعدّون ذلك فضيلة لا تعدلها فضيلة ، ولأمر قريب من هذا أفردوا الاتكاء على القرآن الكريم بمصطلح خاص هو (الاقتباس) كأنه مقصور على القرآن ، ومن اعتمد على من سبقه غير القرآن فله مصطلحات أخرى أما القرآن فله (الاقتباس) وحده ، ونرى الشيخ يقول :

ومكبكب في حاجم كالقصر ترمي بالشر

وهو يفيد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴾ (سورة المرسلات ، الآية ٣٢) ، وهو من الاقتباس المباشر ، ويقول في مواضع أخرى :

وخير تجارات الرجال غنيمة
تفر بأعلى الشم بالدين ناجية
ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الصف ، الآيتان ١٠ و ١١)

ولم يكن للشيخ أن يغفل الحديث الشريف وهو زاده الديني الثاني بعد القرآن فراح ينهل منه ما شاء له النهل ، ويوشّي به شعره ، من ذلك قوله :

ألا فاتقوا شأن الضعيفين إنكم تملكتموهم بالأمانة والجِدِّ ولعله ينظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم " ، ويقول أيضا :

وقال ابتداء الدين في غربة وقد يعود غريبا مثل ما كان ثانيه فهو يقتبس من حديثه صلى الله عليه وسلم : " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء " .

ونغادر هذين الموضوعين إلى ثالث لا تخطئه العين وهو الشعر، ونقف عند زهير بن أبي سلمى وهو يقرع أسماعنا بهذه الـ (مَنْ) الشرطية التي راحت تتكرر في قصيدته الشهيرة ، ونراها ماثلة هنا في منظومة (الحكم النورانية) على هيئة متكررة أيضا يقول :

ومن يخل عن ذكر لمولاه قد خلا من الرشد كالمخدول عن فعل واجب
ومن لم يكن في دهره عالمأ به سقته يد الأيام مرّ المشارب
ومن حط حكم الوقت فالملت حظه وتعطيله الأوقات كبرى المصائب
ولم يقتصر التداخل مع قصيدة زهير على الشرط وحده بل تعدى إلى المعاني الحكمية التي نثرها زهير في قصيدته، وأفاد فيها الشيخ فائدة كبيرة فهي تتوافق مع مزاجه وميله الديني والأخلاقي ، ونرى المتنبي وابن الوردي ماثلين هما الآخران في ذاكرة الشيخ ، فقصيدة ابن الوردي المعروفة التي مطلعها :

دع ذكر الغواني والغزل وقل الفضل وجانب من هزل
واترك الخمرة لا تحفل بها كيف يسعى بجنون من عقل

نراها في مبناها ومعناها عند الشيخ اللامي حين يقول :

قلت وقولي قد عرى من الزلل وعلل المين وهذيان الهزل
من ألف النوم تردى بالكسل فكم به مستبسل من قد بسل
فجرّد العزم ودع عنك الفشل مشمراً كالقذح غير ذي ميل
والزم أدا المفروض من غير خلل فالدين لا يقبل إلا إن كمل

وتستمر القصيدة على هذا المنوال من إسداء النصائح وتقديم المشورة .

وانسجماً مع مقولة المواجهة مع النص تلك التي أشرنا إليها فيما سبق فقد تمكن الباحث من استخلاص ثلاث سمات أسلوبية رآها منتشرة في النصوص المدروسة ، وهي تشير إلى نهج معين ارتضاه الشاعر لشعره ، وهي تومئ بعد هذا إلى الاطمئنان بأن هذا الشعر الذي نقرأه هو لشاعر واحد يلح في مواضع مختلفة من الشعر على ذلك السمات وهو ينطوي تحت ما يسمى بـ (النقد الداخلي) ، ونحن نشغل في ظل هذا المنهج بحسبان عدم توفر ديوان كامل للشاعر منشور

نشرة نقدية محققة ، وهذه السمات هي قصر الممدود ، والاعتراض ، والخاتمة التقليدية .

ولا تخلو قصيدة واحدة بل أبيات قليلة من هذه السمات فهي تلفت النظر حقا ،
فنسمع :

وَمَنْ رَفَضَ الْحَزْمَ الْمَنِيعَ يُلَمَّ وَلَوْ تَنَاشَبَهُ أَمْرُ الْقَضَاءِ بِالْمُخَالَفِ
ويقول :

وَمَنْ كَانَ ذَا بَخْلٍ حَرِيصًا بِمَالِهِ رُمِيَ بِالْقِلَى مِنْ أَقْرَبَا وَأَجَانِبِ
ويقول :

مَنْ اللَّهُ أَرْجُو دَفَعَ مَا بِي مِنَ الْكَرْبِ مَنْ الْإِبْتِلَا بِالنَّاسِ فِي الزَّمَنِ الصَّعْبِ
ويقول :

وَفِيهَا حَانَ صَبْهَا بِهِ الْكَاسَاتُ طَفَحَ
ويقول :

وَالزَّمْ أَدَا الْمَفْرُوضِ مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ فَالْدِينُ لَا يُقْبَلُ إِلَّا إِنْ كَمَلَ
هذا عن قصر الممدود ، أما الاعتراض فكقوله :

تَعَلَّقْتُ بِالْحَبْلِ الَّذِي كُلُّ مَنْ بِهِ تَعَلَّقَ يَنْجُو - صَاح - مِنْ أَعْظَمِ الْخَطْبِ

وقوله :

أيا فلج المعمور هُئيت بالبشر ووقيت من جذبٍ وحُصنت من ضُرِّ
وجنبت من عيبٍ وسلمت من أذى وبوركت - عمري - ما بقيت على الدهرِ
أما الخاتمة التقليدية فهي تنظم الجمهرة الغالبة من القصائد ، وهي عادة ما تتألف
من حمد الله والصلاة والتسليم على رسوله الكريم وآله وأصحابه من ذلك قوله في
نهاية القصيدة الأولى :

وحمدي لربي والصلاة لشافعي كذا آله مع صحبه والأطايِبِ
وقوله في خاتمة القصيدة الثانية :

وصل - إلهي - ما جرى فلك السما على مَنْ به الإرشاد والآل والصحب
وقوله في خاتمة القصيدة الرابعة :

أهدي الصلاة لشافعي والآل والصحب الغُررُ
ومعلوم أن هذه السمات التي سقناها سابقا لا ينفرد الشيخ اللمكي وحده بها بل
نراها عند غيره من الشعراء فقصر الممدود مثلاً من الضرورات الشعرية المعروفة ،
أما الاعتراض ويسميه بعض النقاد الحشو فهو من أسرار الشعر : " لا يتيقظ له
إلا من شف جوهره ، وتوقدت قريحته ، وغزرت مادته ، وكان طباً بمجاري
الكلام عارفا بأسرار الشعر متصرفاً في أفانيه " على حد قول الخاتمي في حيلة
المحاضرة (١ / ١٩٠) ، ومما يرد في هذا الباب بيت المتنبي :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا
فهذا من (أحسن ما خوطب به في هذا الموضوع) (التبيان ، ٤ / ١٦٠) ، وكذلك
الخاتمة التقليدية ، وما نريد الوصول إليه هو أن انتشارها بهذا الشكل اللافت ،
واجتماعها في نصوص الشيخ اللمكي هو الذي حدا بنا إلى اعتبارها سمات
أسلوبية جعلتنا نتلقطها في الشعر ، غير أنه من الضروري التنبيه هنا إلى أمر نراه
هاماً ، وهو منضو تحت السمات الأسلوبية أيضاً مفاده أن الشيخ اللمكي يتخلى
تخلياً واضحاً عن الخاتمة التقليدية في تلك النصوص التي جعلها خالصة للسلوك
إذ تنتهي تلك النصوص نهاية مختلفة ، وأكاد أقول مفتوحة ، فكأنه يشعر في تلك
النصوص أنه لم يقل كل ما يريد قوله ، وظل النص مفتوحاً يحتمل المزيد والمزيد
فهذا الطريق بحر لا قرار له ، لا تكفيه قصيدة ، أو يحويه ديوان ، فكيف بأبيات
حتى وإن كثرت ، فهي عاجزة عن حصر تلك التجربة العميقة بين أضلاعها ،
فليظل النص مفتوحاً يتقبل المزيد ، فهذا النص أشبه بذلك السالك المسافر ،
والمسافر يرى كل لحظة شيئاً جديداً ، ويفاجأ بما لم ينتظر أو يتوقع ، فكذلك النص
هو الآخر ممسوس بتلك الدهشة اللانهائية ، فلا يمكن عند ذاك أن يحكمه ذلك
القفل التقليدي وأنى له ذلك .

ولعل هذه السمة الأسلوبية تكون تكأة ندلف منها إلى السلوك عند الشيخ
اللمكي ، وللسلوك في الشعر العماني خبر طويل ، وتاريخ معرق ، وجاء الشيخ

اللمكي ليشارك أضرابه من كبار الشعراء في الاعتراف من هذا المعين العذب ، وله فيه وقفات نلج من خلالها عوالم الشبلي ، ورابعة ، وابن الفارض ، ومعهم أولئك الراسخون في مضمار السلوك : ناصر بن أبي نبهان ، وسعيد بن خلفان الخليلي ، وأبي مسلم ، وقراءة شعر السلوك تحتاج إلى استعداد خاص ، وأدوات كثيرة أشرت إلى أطراف منها في محاضرة كنت قد ألقيتها في رحاب الجامعة قبل مدة ، وأعود لأقتطف منها شيئاً إذ نجد الإشكالية نفسها تواجهنا ونحن نقرأ شعر الشيخ اللمكي السلوكي ففيه تلك المناجيات الآلهية ، والمداومة على ذكر الله وتمجيده ، مع تعرض لنفحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوة إلى التخفف من هذه الدنيا الفانية وأعبائها الكثيرة ، صاغ ذلك كله عبر لغة خاصة ، ومصطلح مستقر لا يمكن فهمه فهما حقاً بغير (الحفر) في تلك اللغة ، ومحاولة كشف ما يغطيه ظاهرها من معان ودلالات ، ولن يتم ذلك إلا عبر تلك الأدوات الواجب توافرها بيد القارئ مثل القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفكر الإباضي ، وعلم الكلام ، والتراث الشعري العربي وخصوصاً الغزلي والخمري منه ، والتراث الصوفي المترامي الأطراف شعره ونثره فالفكر الإباضي على سبيل المثال يشكل ركيزة هامة ينطلق منها السلوكي في وصف تجربته العميقة الخاصة ، وهو يعتصم بذلك الفكر خشية الانزلاق نحو الشطح ، أو القول بوحدة الوجود ، أو شيء مما أخذ به بعض الصوفية أنفسهم مما يجعلهم قريبين من

إنكار الركن المتين الذي يقوم عليه الإسلام وهو التوحيد وفق نظرة شخصية يدعون إليها ، فكيف نفهم بيت الشيخ للمكي الآتي بمعزل عن الفكر الإباضي حين يقول :

ومن جعل التقوى مهادًا نجا ولو أتى بمعاصٍ قبلها لم يعاقبِ فهو يتحدث عما يعرف في علم الكلام بمرتكب الكبيرة هل يغفر له أم لا ، والكبيرة هي (كل ما عظم من المعصية ، فترتب على ارتكابها وعيد في القرآن أو السنة الصحيحة سواء شرع لها حد ... أم لم يشرع) (الحق الدامغ ، ص ١٨٧) وفقه بيت الشيخ للمكي يؤدي إلى أن مرتكبها ينجو من النار إذا تاب ورجع ونقرأ ما كتبه سماحة المفتي العام الشيخ أحمد بن حمد الخليلي فيقول : " والتحقيق أن العبرة بخواتم الأعمال ، فمن ختم له بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح كان سعيداً عند الله مهما عمل من قبل ، فإن التوبة تمحو الآثام وتطهر صاحبها من الحوب ، ومن ختم له بالإصرار على الآثام لم تُجده أعماله السابقة شيئاً لأنها محبطة بإصراره " (الحق الدامغ ، ص ٢١٢ / ٢١٣) ، فنرى الرأيين متشابهين لأنها يمتحان من بئر واحدة ، وتأسيساً على هذا ينبغي توخي الدقة في التعامل مع هذا الشعر وأمثاله خوفاً من ضياع المعنى المراد من جهة ، ووضع الأشياء في نصابها القويم من جهة أخرى .

بالإضافة إلى ما داخل الفكر الصوفي من تيارات غير إسلامية أدت ببعض المتصوفة إلى القول بوحدة الوجود مثلاً أو الشطح البعيد ، أو التخفف من بعض القضايا الشرعية ، فهم يتجنبون ذلك كله ، وقد أشار الشيخ ناصر بن أبي نبهان رحمه الله إلى ذينك الآخرين صراحة في مقدمة شرحه لتائيتي ابن الفارض ، ويأتي الشيخ هنا ليؤكد هذا الأمر ويعمق الإشارة فيه ، ففي قصيدته التي مطلعها :

أسير الحب ينحو ————— سبيلاً فيهِ رُوح
تفصيل لحال ذلك السالك الذي يواجه المشقات في طريقه غير أنه مُصِرٌّ على قطع الشوط إلى نهايته وعند ذاك يصل إلى :

رياض الشوق فاحت ————— عبيراً فيهِ رشح
وفيهما الورق ناحت ————— وبالهزجات صـدح
مع وصف دقيق مفصل لتلك الرياض وما حوته من الرائحة الزكية ، والماء العذب والانتشاء الحقيقي ، ولكنة يأبى إلا أن يختمها بقوله :

فأنت الرب حسبي ————— فحبي فيك أنحو
فالحق سبحانه وتعالى هو المقصد ، وطلب رضاه هو المطلوب ، فهناك اثنان : ذلك السالك الطالب وذلك المطلوب المعبود ، وليس لهما لن يتّحدا ، ونرى هذا الالتزام بحدود الشرع في قصيدته التي مطلعها :

أنديم الحبّ يا مَنْ ليس يسـلو ————— زفرات وجده بالروح تغـلو

ففيها أولا ذلك الاستبطان لحالة السالك وتجاذبه بين القبول والرفض، وبين القبول المنع، وبين هذا وذاك أحوال ومقامات تصف العشق، والوَلَه، والترقّب مع تلك الدهشة المستمرة التي تلازم الروح واللغة معا، وتواجهنا مصطلحات الغرام، والهوى، والعشق، والقبض، والبسط وليس فيها ما يشي بأمر تنكره الشريعة، فهي مشهد باطني لذلك السالك وما يعتصر في داخله من مشاعر ولكن الغاية معروفة هي الوصول إلى نور الأنوار، والخشوع أمام عظمتة وكبريائه •

إنّ ما نودّ الإلحاح عليه هنا يتمثل في ضرورة قراءة شعر السلوك بعيون تختلف عن العيون التي تقرأ ما سواه من الشعر، وهذا ينبع من اختلاف طبيعته وقانونه عن ذلك الشعر، ولن يتحقق هذا على وجهه الأكمل إلا باستعداد خاص، وأدوات متنوعة تتيح لتلك القراءة النفاذ إلى جوهره، والتعامل مع مصطلحه، وفك المعقد من تراكيبه، وبغير هذا لن يجد القارئ بين يديه سوى قشور الألفاظ، وهي مبدولة ميسرة، وليس هذا من العلم والمنهج في شيء •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الإيداع
٢٠١١/٢٧١